



3

المرحلة الثالثة القدرة على التواصل المتبادل مع الآخرين



ما الذي تعنيه هذه المرحلة

كيف يتعلّم طفلك أن يكون مفيداً ومنطقياً؟ متى يبدأ باستخدام قدرته على التواصل لقضاء حوائجه؟ متى يبدأ باكتشاف الفروق ما بين «أنا» و«أنت»؟ كل هذه التطورات المهمة تحدث خلال هذه الفترة الحيوية من عمر الطفل. يُظهر الطفل ما بين الشهر الثالث والعاشر من عمره أنه يتوقع المزيد من العلاقة بينه وبين والديه. إن ابتسامته العريضة لا تأتي استجابةً لمداعبتك فقط وإنما لجذب انتباهك أيضاً. إنها تعبّر عن رغبته في الإمساك بزمام الأمور وتحقيق ما يريد، ولأنه يثق بك ويحبك فهو يتوقع منك أن تتبادلي معه الإشارات فالحب وحده لم يعد كافياً لإشباعه إنه يريد الحوار أيضاً.

إن طفلك يتحوّل إلى إنسان قادر على التواصل المتبادل مع الآخرين، ربما أصبح بإمكانه الآن أن يصل إليك بذراعيه ويجذب انتباهك بتيار ثابت

من الفقاعات التي يعتقد أنها ستبقيك في تفاعلٍ معه. قريباً سوف يزحف على الأرض ليكون بقربك وسوف يبحث عن استجابةٍ في عينيك. وقبل أن يبدأ بالكلام لفترة طويلة سوف تستجيبين لابتساماته وعبوسه وحركات جسده بحركاتٍ مماثلةٍ من قبلك. سوف ينشأ بينكما لغة إيمائية غير لفظية ولكنها معبرة للغاية.

ما زال معظم الآباء يعتقدون خطأً أن أول كلمة يلفظها أبناؤهم هي العلامة الحقيقية الأولى على تطور قدراته اللغوية. إننا نتشوق إلى تسجيل كلماتٍ مثل ماما - بابا - دادا في الكتب الخاصة بأطفالنا ونقلق إذا لم يتفوهوا بهذه الكلمات عند بلوغ السنة الواحدة من العمر أو ما يقارب ذلك، وإذا تأخر أبناؤنا في الكلام نُطمئن أنفسنا بأن أنشتين ألبرت لم يقل كثيراً قبل بلوغ الرابعة من العمر ولكن يظل لدينا شعور بالاستياء لأن طفلنا قد يصبح بطيئاً أو غير اجتماعي إذا لم يتكلم بشكل مبكر.

إننا ندرك الآن أن كل الإيماءات قبل اللفظية التي يستخدمها طفلك بشكل مقصود وليس فقط المقاطع اللفظية التي يرددها هي المؤشرات الأساسية على نمو قدرته على التواصل. إن تبادل الابتسامات وتقطيب الحاجبين والضحكات ونظرات الاندهاش والتجاهل والسرور التي لا نقيم لها وزناً في بعض الأحيان هي المصدر الحقيقي الذي يؤدي إلى نمو قدرته على استخدام المنطق وإحساسه بذاته وذكائه.

إن كل الرضع من بطيئي التعلم إلى الذين سيربحون جائزة نوبل في ما بعد يجب أن نُكثّر من مخاطبتهم بلغة الإيماءات بشكل خاص خلال هذه الفترة. وإذا لم يتحقق ذلك فيجب التركيز عليه مرة أخرى في مرحلة متقدمة من مراحل تطور الطفل، في الحقيقة عندما نشاهد في عيادتنا أطفالاً أكبر في السن ولديهم صعوبات في استخدام الكلمات للتواصل فإننا غالباً ما نلاحظ ضعفاً في قدرتهم على التواصل بلغة الإيماءات، وعندها نقوم بتدريبتهم على

طيفٍ واسعٍ من الإشارات الإيمائية كحركة اليدين والإشارة بالإصبع ورفع الكتفين واستخدام تعابير الوجه وطبقات الصوت.

إنَّ طفلك يرسل لك عدداً لا متناهيّاً من الرسائل الإيمائية غير اللفظية والتي تعبّر عن حاجاته ونواياه وذلك قبل فترة طويلة من التلّفُظ بأوّل كلمة. إن قدرة طفلك على استخدام منوّعات غنية من تعابير الوجه والأفعال والأصوات في حوار متبادل معك خلال هذه الأشهر سوف يمكّنه من التفاعل مع العالم بطريقة مفيدة ومنطقية.

في الأقسام التالية سوف نشرح بالتفصيل كيف تشجعين روح «أستطيع أن أفعل» عند طفلك. عندما تلعبين معه ألعاب الأخذ والعطاء ستساعدينه على إعطاء غاية ومعنى لكثير من التجارب التي يمرُّ بها.

عندما يصل طفلك إلى لعبة تقدّمينها له فإنه سيتعلّم في نفس الوقت كيف ينتبه إلى صوتك وأنت تشجعينه، وكيف يعدّل من وضعيّة يده استجابةً لما يراه وأنت تلوّحين باللعبة عالياً في الهواء. إنه يدرّب مهاراته الصوتية والحركية بطريقة مفيدة حتى وهو يتمتّع بلعبة الأخذ والعطاء هذه.

عندما يقوم طفلك بلمس وجهك ويضع أصابعه في فمك وأنت تصدرين أصواتاً مختلفة وتلحسين أصابعه فإنه لا يدرّب عضلاته على الحركات الدقيقة فقط وإنما يدرك أن المتعة والإنشراح وحتى المزاح السخيف يمكن أن يكون جزءاً من عملية التواصل المتبادل. إنه يتعلّم ليكون مرسلًا لرسائل الحبّ وليس متلقياً فقط. إنّ حبك له سوف يدفعه إلى البحث في وجهك وجسدك ووضعياتك وصوتك عن علامات تدل على أنك تقرأينه بشكل واضح وصحيح.

إن قدرة طفلك على استخدام المنطق تبدأ قبل قدرته على النطق بالكلمات. فعندما تثير تعابير وجهك استجابةً منك وعندما تدفعك لمساته وتربيتاته إلى معانقته بالمقابل يتعلّم طفلك أنّ استجاباته يمكن أن تتمّ بإرادته

وأنها تؤدّي إلى ردّات فعل أخرى. لو كان باستطاعته الكلام لقال: «إذا فعلت هكذا... ستفعل هكذا هاي - أستطيع أن أجعل الأمور تحدث! إن العالم يمكن أن يكون مفيداً ومنطقياً». وفي الحقيقة عندما تلعب مع طفلك ألعاب الأخذ والعطاء فإنه سيتعلّم كيف يستخدم حواس النظر والاستماع والشم ومهاراته الحركية مع بعضها.

إن قدرته على استخدام مهاراته بشكل متكامل ستبلغ حدّ الكمال في المرحلة التالية من تطوّره عندما يكون عمره ما بين الشهر التاسع إلى الثامن عشر. وحتى يصل إلى ذلك العمر ستندهش كيف أنّ قدرته على التواصل بالإيماءات ستعمّق من إحساسه بارتباط الأسباب بالنتائج وستكون الأساس الذي سيبنى عليه فهمه المنطقي للعالم من حوله. إن أفعال ابنك سيكون صوتها أعلى من صوت أقواله.

كيف تعلمين أنّ رضيعك يتواصل مع الآخرين

عندما يبلغ طفلك الشهر الثامن أو العاشر من العمر سيصبح واضحاً أنه قادر على التفاعل معك بشكل مقصود. ستلاحظين أنه يريد أن يفتح معك قنوات للتواصل، وأنه لا يعكس سلوكك كالمرأة عندما يستجيب لإيماءاتك بإيماءاته الخاصة. وقد تلاحظين ذلك بشكل واضح عندما يقترب منك لكي تحمله لأول مرّة. حتى الآن عندما تقترين من مكان اللعب المغلق الخاص به وتقولين له بحرارة «هيا لنذهب في رحلة في العربة الآن» فإنه قد يبتهج لذلك لكنك لا تعرفين إن كان تَوَاقاً إلى فعل شيء أو الذهاب معك إلى مكان ما. أما الآن فمن المرجّح أن يرفع ذراعيه متوقّعاً مغامرة عندما تقولين له «هيا لنذهب» قد لا يفهم كلماتك لكنه يستطيع قراءة النبوة المتعاطفة في صوتك وقراءة لغة جسدك. إن ذراعيه المرفوعتين ستعلمانك أنه يريد أن ينضمّ إليك لتمرّحاً سويةً.

من الآن فصاعداً سيبدأ طفلك بالاستجابة لكلمات الترانيم التي تردّدونها

على مسمعيه وسيبادلُ إياها بكلماتٍ وأصواتٍ خاصةٍ به ولن يردّد بعض الأصوات البسيطة كما كان يفعل في السابق عندما تسمعيه الأغاني أثناء الرضاعة.

إنَّ أغنيتك المرحّة قد ترسم على وجه طفلك تعابير الابتهاج قبل أن يستجيب لها. كجزءٍ من هذا الحوار قد يصدر ابنك مجموعة من الأصوات المختلفة تتراوح ما بين عبارات التحية إلى المقاطع الصوتية المكوّنة من أحرف ساكنة وليّنة يصدرها من مقدمة فمه (با - دا - ما).

إضافة إلى التصويت تستطيعين أن توفّري لطفلك تعابير وجهية مثيرة، اسحبي خديك إلى الداخل لتصنعي وجهاً مضحكاً قد تُطلق نظرة السرور أو الدهشة من عيني طفلك. لقد رأينا كيف أنَّ الرضع الصغار قادرون على تقليد تعابير وجوه أمهاتهم وآبائهم لكن باستطاعتهم الآن أن يستجيبوا بشكل أكثر فاعلية. سترين طيفاً من المشاعر يظهر على وجه ابنك قبل أن يحاول تقليد التعابير المضحكة على وجهك قد يستجيب لتعابير وجهك المضحكة بتحريك ذراعيه ورجليه بإثارة في حين يظلُّ وجهه هادئاً. في حالات أخرى قد يقطّب حاجبيه معبراً عن الخوف وقد ينفجر باكياً بدموع غاضبة. يجب أن تنتبهي إلى استجاباته المختلفة ولا تتوقعي أن يردّد دائماً على ابتسامتك بابتسامة أو على تحية من يديك بتحريك ذراعه.

إن رضيعك يستخدم أحاسيسه ويقوم بحركاتٍ متنوّعة خلال هذه الفترة التي تمارسين معه الحوار غير اللفظي. إن اللمس هو أبسط أنواع التخاطب المتبادل فعندما تلمسينه يردّد بلامستك. حتى الرضع الصغار جداً يعدّلون من وضعيّتهم لتناسب انحناء ذراعي أمهاتهم، وعندما يبلغون الشهر السادس قد يربتون بحبّ على ظهور آبائهم أو أمهاتهم عندما يحملونهم. إن دغدغتك اللطيفة له ستجعله يقوِّس ظهره إلى الخلف بسرور ثم يثبّت عينيه على عينيك وهو يلوّح بذراعيه ورجليه وكأنه يقول «المزيد، المزيد يا أمّا!».

عندما تلعبين مع طفلك فترفعينه فوق رأسك فإنه قد ينظر مباشرة في عينيك ويلوح بذراعيه ثم يضحك مسروراً. وقد تشاركينه السرور فتهزّين رأسك وأنتِ تبسمين في وجهه المشرق. احزري ما الذي حدث؟ لقد كنتِ في حوار حقيقي مع طفلك. لم تتبادلي معه الكلمات لكنّ أفعالك قابلتها أفعال من قبله جعلتكِ تعلمين أنه قد تلقى رسالتك.

يعلم رضيعك الآن أنّ أفعاله ستلقى استجابة منك وأنّ ما يعبر عنه ويقوم به يمكن أن يؤثّر في الآخرين. لقد تعلّم أن باستطاعته تبادل الحبّ مع غيره وأنه كائن كفؤ ومحبوب.

لقد كان يكتفي بتقليد بعض تعابير وجهك منذ شهور أما الآن فهو مصمّم على أن يُعلمك بنواياه تجاهك وبالتالي سيبدأ هو بالفاعل معك.

ذات يوم ستكتشفين وأنتِ تقومين بإرضاعه أنه سيمدّ يده لوحده ليصل إلى أنفك ويداعبه وفيما بعد سوف يحرك يديه باتجاه لعبته المفضّلة.

إن هذه التصرفات الواضحة ستدلكِ على أن الوقت قد حان لتنشّطي نفسك وتبحثي عن مزيد من الفرص لتبادل التعابير مع رضيعك، قد تُرفقين بشكل عفوي تعابير وجهك ببعض الكلمات لكنّ طفلك سوف يعبر عن أمانيه ومشاعره بواسطة لغة الجسد والأفعال وتعابير الوجه والأصوات (انظر إلى «ما يجب الانتباه إليه» في الصفحتين التاليتين).

عندما لا يُمنح الأطفال الفرصة للمشاركة في هذه الحوارات المتبادلة فإنهم سيصبحون أكثر سلبية وأقل تنظيمًا وتعبيراً عن عواطفهم. إذا تذكّرتِ نفسك وأنتِ تتحدثين أمام مجموعة من الناس وكيف أنكِ تعتمدين على هزّات رؤوسهم وابتساماتهم ستدركين مباشرة مدى اعتماد ابنك على تعابير وجهك.

من السهل أن نلاحظ كيف أن الطفل الذي تُقرأ رسائله بشكلٍ خاطئ على الدوام سيبدأ بالشعور بأنّ الحياة تفتقد إلى الجدوى والمنطقية. إذا تعاملتِ مع الطفل بطريقة عشوائية وليس على أساس تصرفاته أو تعابيره أو

كجزء من تفاعل متبادل معه، فإنه سوف يبدأ بالتصرف بطريقة يسميها عالم النفس مارتين سليغمان الذي بحث في التفاؤل والتشاؤم عند الناس «اليأس المكتسب».

يحتاج ابنك إلى هزات رأسك وإيماءاتك وأصواتك ليشعر أن أحداً ما ينصت إليه. لذلك من المهم أن تُسرّي بالإشارات التي يرسلها إليك. إن الرسائل الإيجابية كالابتسام أو إصدار بعض الأصوات أو محاولة الوصول إليك من السهل الرد عليها أما التصرفات السلبية فهي التي يصعب على معظم الأمهات التعامل معها. لنفرض على سبيل المثال أنك عدت ذات يوم من العمل لتجدي أن طفلك يدير ظهره لك ويتجاهلك بشكل مؤقت. إنه يعبر بذلك عن غضبه. هل ستعلمينه بأنك قد فهمت رسالته؟ وقد يعبر عن استيائه بطرق أخرى كأن يبدو لامبالياً أو منغلقاً على نفسه أو حتى أنه قد يحدق في الجدار وقد يُبدي نوعاً من الاضطراب أو السلوك العشوائي.

هل استغلّيت عدم الاهتمام هذا وبدأت بالطبخ أو قراءة بريدك؟ أم أنك أدركت أن طفلك يحتاج منك إلى الجلوس معه على الأرض واتباع قيادته والتفاعل معه. قد تريد أن تلمح إليه أو أن تلعب معه لعبة تعابير الوجه المضحكة المتبادلة أو أن تدعيه يأخذ ملعقة من فمك. إن هذه التصرفات سوف تُعلمه بأنك فهمت انزعاجه وأنت مسرورة برؤيته.

في هذه المرحلة من تطور الطفل لا يوجد ما هو أهم من مساعدته على أن يصبح متواصلاً ممتازاً مع الآخرين. إن الشعور بالأمن والحب سيدخلان في التواصل معه، وكذلك مشاعر جديدة من الثقة والفضول وغيرها من الاهتمامات الجديدة. عادة ما تكون المرة الأولى التي يزحف فيها طفلك أو يمشي أو يتفوه بكلمة ما هي الدقائق المثيرة الصالحة للتقاط الصور بكاميرا كوداك. لكن هذه الأحداث لا تشير بالضرورة إلى قدرة ابنك الجديدة على استخدام التعابير والإيماءات للتواصل معك.

ما الذي يجب الانتباه إليه

قد يبدأ طفلك بفتح حوارٍ معكِ عن طريق الإيماءات وذلك بالقيام ببعض الأفعال مثل:

الاقتراب منك لتقومي بحمله، ومعاذتك عندما تعانقينه.
الابتسام وإصدار الأصوات ووضع إصبعه في فمكِ، أخذ لعبة من فمه ووضعها في فمكِ، ملاسة شعرك وتفحصه.

دفع الطعام الذي لا يحبّه عن صينية طاولته مصحوباً بنظرة غضب، الصراخ إذا لم تُجلب له لعبته بسرعة، أو التفلّت من يديكِ إذا لم يكن عنده رغبة في تغييرك لملابسه (إن وجهه الغاضب وصيحاته وجسده المتلوّي ينقل بشكل واضح شعوره بالاحتجاج والغضب).

البحث عن لعبة سقطت على الأرض أو (في نهاية هذه المرحلة) البحث عن لعبة يفضلها مخبأة في يدكِ.

إظهار الحذر أو الخوف بالابتعاد أو الإمساك بساقكِ أو أن يبدو عليه الفزع عندما يقترب شخص غريب منه بسرعة.

البكاء بشكل متعمّد، والهدوء بشكل متعمّد أيضاً (يبدو بكاء طفلك الآن هادفاً أكثر عندما يعبر من خلاله عن غضبه، وحزيناً عندما يعبر عن عجزه. يستطيع الآن أن يهدئ نفسه بعد دقائق من الحوار بينكما بلغة الإيماءات. وفري له أصواتاً لطيفة وتواصلاً عن طريق العينين وبعض الترييت على ظهره وذلك ليس لتهدئته فقط وإنما لتأسيس حوار متبادل معه.

سيقوم بشكلٍ مقصود بإظهار طيف من المشاعر كالمتعة والغضب والخوف والدهشة والتوقع.

سيقوم رضيعك الآن بالاستجابة بتعابير الخاصة عندما تستثيرينه بالأفعال التالية:

جلب اهتمامه وتحريضه على الأفعال عن طريق الألعاب أو الطعام الذي يحبه.

التصويت (نوعي طبقة الصوت وقوته وإيقاعه ونوعي الكلمات التي تقولونها له).

مشاركته في طيف واسع من تعابير الوجه.

اللمس (قد يحاول طفلك إمساك يدك عندما تدغدغينه).

حركيه إلى الأعلى والأسفل وإلى الجانبين عبر الفراغ.

على الرغم من أن طفلك لم يكن يعرف عند ولادته أنه سيصبح قادراً على إحداث الأمور، إلا أنك عندما تردّين على الصوت الذي يُصدره بصوت مماثل سيتعلم أن صوته أدى إلى صوتك وسيتعلم الفرق بين صوته وصوتك. ربما ستندهشين إذا علمت أن طفلك قبل عدة شهور لم يكن يميّز الصوت الصادر عن فمه من الصوت الصادر عن الآخرين.

كما أنه سيُدرّك الآن أن الابتسامة الصادرة عن شفثيه يمكن أن تسبب الابتسامة التي يراها على وجهك. وعندما يتعلم الفرق بين ابتسامته وابتسامتك يكون قد خطا الخطوة الأولى نحو الفريق بين ما هو جزء منه وما ليس جزءاً منه وهذا سيساعده في النهاية على الفصل بين (الأنا) و(الغير) أو الـ (أنت) وبصريح العبارة إن استجاباتك لإشارات طفلك ستمكنه من البدء بتعيين الحدود بين مكونات ذاته وبقية العالم. إن هذا إنجاز رائع لشخص صغير مثله كما أنه الخطوة الأولى نحو تطوير قدراته في فهم الفرق بين الواقع والخيال.

إن طفلك وهو يتعلّم كيف أن باستطاعته أن يدفعك إلى الابتسام أو إظهار تعابير الخوف يستطيع في نفس الوقت أن يطبق هذا الدرس في السبب والنتيجة على العالم المادي الأوسع الذي يحيط به.

فهو عندما يضرب لعبةً بيده أو يسقط مكعباً على الأرض على سبيل المثال يسبب صوتاً مثيراً، بشكل مشابه عندما يرمي طعامه من على صينية كرسية يندلق وقد يضع مزيجاً ملوناً على الأرض. إنَّ رضيعك يربط حركة ذراعه ويده مع الأصوات والمناظر التي تتبع هذه الحركة. إنه يتعلَّم أنَّ باستطاعته أن يحدث كلَّ هذه الأشياء المثيرة.

كانت الفكرة السائدة هي أنَّ الرضيع يطوِّرون قدرتهم على التفكير منطقياً بالتفاعل المادي مع الأشياء الموجودة في بيئتهم. في تجربة شهيرة أجريت قبل بضع سنوات من قبل جين بياجيت مؤسس علم النفس المعرفي الحديث تعلَّم رضيعٌ أن يشدَّ خيطاً مربوطاً بجرس يرنُّ، عندما فُصلَ الخيط عن الجرس سرعان ما توقف الرضيع عن شدِّ الخيط لأنه لم يعد مرتبطاً بصوت الجرس.

استنتج بياجيت أن قدرة الرضيع المبكرة على التأثير بشكل هادف في محيطه تدل على بداية استخدام قدراته (الحسية - الحركية) ما قبل اللفظية لربط السبب أو الوسائل (شدُّ الخيط) بالنتيجة أو النهايات (سماع الجرس وهو يرن).

إن الدراسات الحديثة تبين أن الطفل يبدأ بتعلم التفكير المنطقي بطريقة مختلفة تماماً. فقبل شهور من قدرته على شدِّ الخيط الموصول بالجرس أو إلقاء الطعام من على كرسية يستطيع الطفل أن يسبب عناقاً أو قبلةً أو ضحكةً منك بفضل ابتسامته.

لذلك من الأرجح أن الدروس الأولى في المنطق أو السببية تحدث من خلال التفاعلات العاطفية بينه وبين والديه في عمرٍ أصغر بكثير من العمر الذي يبدأ فيه بالتفاعل المادي مع العالم. أحد أسباب ذلك هو أنه يستطيع أن يرسل إشارات عاطفية قبل فترة طويلة من قدرته على تحريك ذراعيه أو رجليه بشكل إرادي، ثم يقوم الطفل بتطبيق هذه الدروس العاطفية على

العالم المادي. من المذهل أن تدريكي أن قدرة طفلك على أن يصبح مهندساً أو طبيباً تنبع من هذه التفاعلات العاطفية المبكرة معك بالإضافة إلى اكتشافاته المهمة جداً للعالم المادي.

عندما نتحدث عن تطور التفكير المنطقي عند الرضع لا نقصد أن الرضيع يتحدث مع نفسه ويفكر (سأبتسم لأبي لكي يرد عليّ بابتسامته) إن التفكير الداخلي بهذا الشكل لا يحدث إلا في سن الثالثة أو الرابعة من العمر وهو يحدث بشكل رمزي. بدلاً من ذلك فإن نوع التفكير المنطقي الذي يتطور عند الطفل هو إدراكك لتتابع معين قبل استخدام الألفاظ.

إن معظم سلوكنا الاجتماعي وتفاعلاتنا اليومية من التفاوض مع الأصدقاء إلى تبادل الأحاديث في التجمعات الاجتماعية تعتمد على هذه القدرات التي يتم تعلّمها بشكل مبكر.

أثناء لعبك مع طفلك ألعاباً تتضمن تواصلاً متبادلاً بينكما فإن بعض التغيرات الجسمانية تحدث في جسده تساعد على أن يتعلم كيف يرسل ويفسر الأفعال والإيماءات المختلفة.

إن هذه القدرة المتزايدة على التواصل المقصود مع الآخرين ستقوي بدورها الإمكانيات الحركية والحسية واللغوية والمعرفية التي تظهر بشكل نموذجي خلال هذه الفترة. على سبيل المثال إن قدرة طفلك على الوصول إلى الأشياء يمكن أن تُستخدم في ألعاب (الأخذ والعطاء) التي يلعبها معك. وقدرته على الزحف يمكن أن تُستخدم في لعبة (تعال والتقطني) التي تلعبانها سوياً.

هل باستطاعتك أن تعلّمي طفلك كيف يستخدم هذه المهارات للتفاعل مع الآخرين؟ إنها تتضمن:

تطور المهارات عند الرضع



المهارات الحركية

- أن يجلس متوازناً.
- أن يحمل لعبة أثناء جلوسه.
- أن يحاول الوصول إلى الأشياء المعلقة في الهواء أثناء جلوسه.
- أن ينتقل من وضعية الاستلقاء على ظهره إلى وضعية الجلوس.
- أن ينتقل من وضعية الجلوس إلى الاستلقاء على البطن.
- الزحف على معدته أو يديه.
- استخدام الإبهام وإصبع آخر لالتقاط مكعب أو لعبة.
- التقاط الأشياء الصغيرة براحة كفه.
- أن يضرب يديه وألعابه بفرح.
- أن ينقل الأشياء من يد إلى أخرى.

المهارات الحسيّة

- أن يشعر بلمس الأشياء ويتفحصها.
- أن ينتبه عندما يوضع شيء ما (لعبة مثلاً) على أجزاء مختلفة من جسده.
- استجابة معينة لبعض الأصوات والمناظر.
- أن يتمتع بالتحرك في الفراغ.

المهارات اللغوية

- الاستجابة عندما ينادى باسمه أو للطلبات البسيطة (عندما يُقال له لا مثلاً).
- استخدام الأصوات للتعبير عن النيات أو العواطف. (كأن يقول ممم عندما يشعر بالمتعة).
- الاستجابة للأصوات بألفاظ وتصرفات متنوعة.
- أن يصدر أصواتاً متعددة (طققة بلسانه أو أصواتاً بفيه).

تطور المهارات عند الرضع



المهارات المعرفية

- التركيز على لعبة أو شخص لمدة دقيقة أو عدة دقائق.
- اكتشاف وتفحص لعبة جديدة.
- إصدار أصوات وإحداث مؤثرات بصرية بواسطة لعبة (لعبة السبب والتأثير).
- التفريق بين الأشخاص المختلفين (يتبين ذلك باستجاباته المختلفة).
- البحث عن لعبة سقطت على الأرض.
- سحب جزء من جسم ما (كطرف الثوب) لتقريب هذا الجزء إليه.

لماذا تُعتبر بداية التواصل المتبادل عند الطفل

مهمة إلى هذه الدرجة

إن بذور الكثير من الجوانب المهمة في شخصية طفلك بما فيها المهارات الاجتماعية والذكاء والأخلاق، إنما تُبذر فيه عندما يتعلم كيف يستخدم الإيماءات بشكل مقصود وكيف يصبح قادراً على التواصل المتبادل مع الآخرين. إن استجاباتك ستمكّنه من أن يكون شخصاً مفيداً ومنطقياً وستُعَلِّمه أنك ترحّب بمحاولاته الجادة للتعبير عن حاجاته.

سوف تعلّمينه أيضاً أن مشاعره الآخذة في التطور (كالتصميم والفضول) يمكن أن تكون مفيدة وجزءاً من الحوار المنطقي.

عندما يمسك رضيعك بشعرك ويبدأ بمداعبته فإنه يعبر بشكل غير لفظي قائلاً «ما هذا الشيء؟».

حاولي أن تشجعيه على الاكتشاف بأن تقولي له بلغة الإيماء (نعم، تستطيع أن تكتشف العالم معي بأمان، تابع ما تقوم به). لاحظي عينيه وابتسامته ثم خفّضي رأسك لتسهلي عليه عملية الاستكشاف. سوف تُظهرين بذلك لرضيعك أنك تحترمين فضوله وأنه نجح في إخبارك بحاجاته.

تستطيعين أن تبني عند طفلك شعوراً بتقدير ذاته بأن تتبادلي معه الإيماءات البسيطة طوال اليوم. إنه يتلقى رسالة مشجعة منك تقول بأنك توافقين على جهوده لفعل الأمور وأنّ إيماءاته سوف تُفهم. إن استجابتك لإشارات طفلك بطرق يستطيع رؤيتها والشعور بها بوضوح ستعلمه أنّ باستطاعته أن يحدث أثراً ساراً في العالم من حوله. وهذه إحدى الطرق التي تعلّمين فيها التفاؤل لطفلك.

بنفس الوقت أنت تسلّحينه بمهارة ستساعده على استخدام الحدس في قراراته عندما يكبر. عندما تقوين قدرته على قراءة لغة الجسد عند الآخرين فإنك تنمّين عنده مهارة من أقوى مهارات البقاء التي يملكها الإنسان. عندما يُشعرنا الحدس بشعور ما تجاه شخص ما فإن ذلك يعتمد إلى حد كبير على الرسائل التي نقرأها في وجهه وحركاته ووضعيته. إنّ كلماته قد تكون ساحرة وجذابة ولكن إذا شعرنا بتوتر في عضلاته أو رأينا عينيه تنحرفان عن أعيننا فإن ذلك سيدفعنا إلى الحذر منه. إننا نؤمن بصدق هذه الإيماءات الجسدية أكثر من أيّ كلمات.

إن هذه المهارات في استقبال وإرسال الإشارات الاجتماعية التي يتعلمها الطفل في هذه المرحلة من مراحل تطوره هي الخطوات الأولى نحو جعله متعاوناً ونيبهاً عندما يبلغ سن دخول المدرسة. إن الأطفال الذين تدربوا على إرسال واستقبال الإيماءات يسهل عليهم أن يشعروا متى يخفّ اهتمام زملائهم بهم، أو متى يفقد أساتذتهم صبرهم لأنهم يستطيعون بحدسهم أن يقرأوا ويفهموا معنى آلاف الإيماءات. إنّ باستطاعتهم أن يقرأوا

نظرة تدل على عدم الاهتمام أو نبرة صوت متوترة أو وضعية كتفٍ توحى بالإرهاق. إنَّ باستطاعتهم أن يلاحقوا التغيّرات السريعة في نبرة الصوت وأن يكتشفوا الأنماط المختلفة وأن يحكموا بسرعة على ما يشاهدونه ويسمعونه.

لقد صاغ دان غولمان وهو عالم نفسٍ وصحافي عبارة الذكاء العاطفي للإشارة إلى هذه المهارات الاجتماعية وقد نال كتابه (الذكاء العاطفي) اهتمام الشعب الأمريكي. ولكي تدرك أهمية هذه المرحلة من تطور الطفل (وكذلك المرحلتين السابقتين) يجب أن نعلم أن اللبّات الأساسية للذكاء العاطفي وللقدرات المعرفية التقليدية توضع في هذه الأشهر الأولى من عمر الطفل. خلافاً لوجهة النظر التقليدية أصبحنا نعتقد اليوم أن القدرات العاطفية والمعرفية ليست نوعاً من الذكاء بل هي أجزاء من منظومة واحدة تنمو بنفس الطريقة، ووجدنا أن بعض الخبرات الأساسية توسّع كلاً من الإمكانيات العاطفية والعقلية معاً.

بعض الآباء لا يركّزون جيّداً على المهارات العاطفية والاجتماعية، ويهتمون فقط بالتدريب العقلي الذي سيؤدي بأبنائهم إلى تحصيل درجات عالية في العلوم واللغة والتاريخ.

إنهم يفترضون أنَّ هناك خيارات في الحياة فإما أن يدرّبوا أولادهم على الرياضيات ويغنّوهم عقلياً، أو أن يركّزوا على إسعادهم على حساب تحصيلهم الأكاديمي فالخيار بالنسبة لهم واضح: إمّا التغذية العاطفية أو الكفاءة العقلية.

إن طريقتنا الجديدة في التفكير حول الكيفية التي تتطور فيها المهارات الأكاديمية تجعلنا نوفّر للآباء خياراً ثالثاً وهو: إن نفس الأمور التي تفعّلها لشعري طفلك بالحبّ والأمان سوف تجعله ذكياً أيضاً. إن التعابير المضحكة التي تتبادلانها أنت وطفلك لا تبني عنده تقدير الذات وتعطيه إحساساً بأن الحياة احتفال مبهج وحسب، وإنما تعطيه إحساساً بأنه يستطيع أن يجعل

الأمر تحدث. إنه يلعبه معك يخطو الخطوات الأولى على طريق الإبداع والتفكير المنطقي. إن الألعاب غير اللفظية المبكرة تبني جزءاً هاماً من قدراته العلمية والتحليلية فيما بعد وكذلك من مهاراته الاجتماعية والعاطفية.

إن جزءاً من الخلط والميل إلى الفصل بين أجزاء الذكاء المختلفة يأتي من التفكير بالقدرات المعرفية، كالقدرة على تذكر الأشياء الجديدة، بشكل محدود جداً. إذا ركزنا على أهم القدرات المعرفية كالإبداع والتفكير السببي سنجد أن هذه القدرات هي التي تجعل المهارات الأخرى كتعلم الحقائق الجديدة مفيدة وذات معنى، إننا نعتقد أن التفكير العاطفي والمعرفي هما جزءان من عملية واحدة. إن التواصل المتبادل بينك وبين طفلك يُساعده أيضاً على أن يصبح متعاطفاً مع الآخرين وأن يفرّق بين الخطأ والصواب. فأنّ عندما تستجيبين له تزيد من شعوره بالاندماج والأمان.

إن هزات الرأس والنظرات والابتسامات الحارة التي تتبادلانها معاً ستشعر طفلك أنه جزء من العلاقة بينكما وأن تصرفاته ومشاعره تؤثر فيك وسيبدأ بتقديرك كشخص منفصل عنه يعتني به.

إن شعوره المتزايد بأنك شخص يعتني به سوف يتطور مع الوقت إلى شعور بالاعتناء بك ومن خلالك الاعتناء بالآخرين. ومن الشعور بالاعتناء المتبادل يأتي الشعور الأخلاقي. إن التفكير الأخلاقي مثل الذكاء العاطفي والاجتماعي ينشأ من الأرضية الخصبة التي يشكّلها التواصل غير اللفظي.

ترافق ممارسة طفلك للتواصل المتبادل بشكل اتصالات بين العصبونات الموجودة في الفص الجبهي وما قبل الجبهي من الدماغ. إن العصبونات في هذا الجزء من الدماغ تشكل شبكة غنية تدعم قدرته على التخطيط والقيام بأفعال متتابعة والتعبير عن طيف واسع من العواطف كالدهشة والمتعة وأشكال خفية من المغازلة والخوف.

عندما يقوم طفلك بالتواصل معك بشكل هادف تزداد الاتصالات بين

العصبونات الموجودة في القشرة الدماغية الجبهية وما قبل الجبهية وهذا بدوره يقوّي قدرته على التفاعل معك.

إن الدراسات على موجات دماغ الرضع في هذه المرحلة من تطوّرهم تبين أنّهم يصبحون أكثر انتقائية في استجاباتهم لأصوات معينة وتصبح أفعالهم هادفةً بشكل أكثر. على سبيل المثال: هم يستجيبون (بإدارة رؤوسهم) لأصوات اللغة التي يسمعونها كل يوم أكثر من استجابتهم لأصوات لغاتٍ أخرى. ويبدو أنه كلما أصبح الرضع أكثر قدرة على التواصل الهادف والمنظم مع آبائهم وأمّهاتهم أصبحت الاتصالات العصبية في أدمغتهم معيّنة بشكل أدق أو «مُشدّبة» وهذا بدوره يسهّل مزيداً من الاستجابات الانتقائية للمؤثرات الموجودة في البيئة المحيطة بهم.

كيف تساعدن رضيعك على التواصل

قراءة إيماءات رضيعك والاستجابة لها:

كيف يُعلمك رضيعك ما يريد؟ هل تعرفين متى يكون غاضباً منك ومتى يحتاج إلى أن تضمّيه؟ هل يُظهر لك أنه يريد لعبة معينة أو أنه جائع أو عطشان؟ لكل طفل طريقته في التعبير بحركات جسده وبعضهم يكون أكثر مبالغة في التعبير من الآخرين.

ربما يُظهر طفلك تفاعلًا مع أمرٍ ما عن طريق تعابير وجهه المليئة بالحياة، إنه لا يتسم فقط وإنما يشعُّ وجهه بالسرور. إن هذا الطفل عندما يغضب يحدث ضجةٌ كبرى فيقطُّ جبينه ويزمُّ شفّتيه ويزدرف دموعه وقد يرفس ويحرك رجليه ويديه باكياً بصوت عالٍ. إن الرضع الذين يرسلون إشارات واضحة أكثر قدرة على الحصول على ما يريدون لأنّ الكبار لا يبذلون جهداً كبيراً في تفسير إيماءاتهم. إذا كان باستطاعة طفلك الاعتماد على عضلاته فإنه لن يتردّد في الاقتراب منك وستعرفين أنه يريد صحبتك.

إذا كانت عضلات وجهه متعاونة أيضاً سيكون باستطاعته أن يقلد الكثير من التعابير التي يراها على وجهك وأن يستخدمها في استجاباته لك. إن الأطفال الذين يرسلون إشارات واضحة لا يجدون صعوبة في التعبير عن مشاعرهم لأنهم يستطيعون استخدام حواسهم في السمع والنظر واللمس والشم للتقاط الرسائل التي تُرسل إليهم ثم يستخدمون عضلاتهم للرد عليها.

إنهم يجذبون انتباهك بنظرة تعلمك أنهم جاهزون وراغبون وقادرون على التفاعل معك. عندما يكون الطفل متعطشاً إلى التواصل بهذا الشكل لن يتطلب الأمر منك الكثير من الممارسة لكي تتعلمي كيف تقرأين رغبته في اللعب أو نظرة الاستياء في عينيه عندما يتذوق طعاماً حامضاً لأول مرة.

كثير من الأطفال لا يبدو تعابير بهذه القوة تعبر عن مشاعرهم أو استجاباتهم لك. إذا كان أسلوب طفلك في التعبير أقل وضوحاً يجب عليك أن تقوّي من قدرتك على الملاحظة. فمثلاً عندما يريد طفلك أن تحمله قد لا يثبت نظره عليك، وقد لا يمد يديه إليك وبدلاً من ذلك قد يصدر صوتاً ذا طبقة منخفضة أو يصدر صوتاً باستخدام حواف مهده، إنه يستخدم الإيماءات السهلة بالنسبة إليه ليُعلمك ما الذي يريده ومع الوقت سوف تتعلمين أسلوبه في التعبير، لا تفترضي أن طفلك لا يستجيب لك ولا يعبر عن مشاعره لمجرد أنه لا يستخدم لغة الجسد التي تتوقعينها. انتبهي إلى السلوك الذي يسهل على رضيعك فعله - سواء كان الابتسام أو تحريك أطرافه أو التمتمة ببعض الأحرف - واستخدميه كأساس للحوار معه. إن بعض الرضع شديدي الانتباه وإن كانوا بطيئين في تطورهم الحركي. قد تجد رضيعك يتأرجح ويتدحرج على أرض الغرفة ليصل إليك ولو كان لا يستطيع الزحف. إنه عندما ينظر إليك بعينه الكبيرتين المدوّرتين ستدركين أنه يسألك أن تحمله تماماً وكأنه يقول لك «ارفعيني!».

بعض الأطفال قد يكونون أكثر هدوءاً وأقل استجابة. فقد لا يستجيبون

لكلماتك المُفعمة بالعاطفة بأصواتٍ يصدرونها وإنما بابتسامة فقط. إن حقيقة أنهم قد يستخدمون أيَّ إيماءةٍ للاستجابة لك هي المفتاحُ هنا. وكذلك فإن الطرق التي تستخدمونها للاستجابة لإيماءات رضيعك ليست مهمة. فطالما أن رضيعك يلاحظ أنك تلقَّيتَ رسالته - بهزَّةٍ من رأسك أو تغييرٍ في نبرة صوتك أو حتى بتكشيرةٍ على وجهك - سوف يتعلم ربط الأسباب بمسبباتها وسيشعر بالأمان وهو يستخدم قدرته الجديدة في التواصل مع الآخرين.

صحيحٌ أنها فكرة جيدة أن تستجيب لمعظم إيماءات رضيعك لكن ليس من الضروري أن تحاولي مُبادلته الإيماءات دائماً. سيكون قادراً على معرفة الاتجاه العام لاستجاباتك لكن لن تستطيعي ولا يجب عليك أن تتوقعي من نفسك استجابةً لكل تصرفٍ يقوم به ابنك. لن تستطيعي أن تلتقطي الاختلافات الصغيرة في لغة جسده وسوف تسيئين فهم بعض رسائله، نتيجة لذلك سيتقبَّل طفلك التأجيل والإحباط كجزءٍ من الحياة. على كل حال بعض الأطفال فقط يستمرون في محاولة جذب انتباهك برفع أصواتهم أو البكاء أو توجيه نظرةٍ مُحبطةٍ إليك. كوني فعالة وانتبهي إلى كل العلامات الواضحة والخفية التي تدل على أنَّ طفلك يحاول أن يشاركك شعوراً أو رغبةً ما.

وأخيراً فإنَّ على الآباء والأمهات أن ينتبهوا إلى أنَّ استجاباتهم لإيماءات أطفالهم يجب أن لا تكون متبادلة وحسب وإنما يجب أن تكون متناسبة مع أهداف الطفل. فعندما يرفع ولدك يديه لكي تحمله يجب ألا تكون أول كلمة تقولينها «انتبه إنَّ قبَّتكَ مرفوعة إلى الأعلى» إنَّ ما ستقومين به لإنزال قبَّة طفلك لا يلبي حاجة طفلك الواضحة - ولو عبَّر عنها بطريقة غير لفظية - إلى أن يُحمَل. أشعري طفلك دائماً بأنه ناجحٌ في التواصل معك بالاستجابة لإيماءاته قبل توسيع مجال التفاعل بينكما، احمليه أولاً ثمَّ أصلي وضع قبَّته، وإن كان من الأفضل ألا تحاولي إبقائه أيقاً لأنها معركة خاسرة.

وقت اللعب على الأرض مع طفلك

إن هدفك في المرحلة السابقة من تطور طفلك كان إيجاد توافق جيد معه وأن يتمتع كُل منكما بصحبة الآخر. إن هدفك الآن هو تشجيع الطفل على تبادل الإيماءات معك. إنَّ أفضل طريقة للتواصل مع رضيعك وجلب اهتمامه هي النزول إلى الأرض تماماً إلى جانبه.

لأنَّ طفلك قليل الحركة في هذه المرحلة تستطيعين أن تجذبي انتباهه عندما تكونين معه مستلقيةً أو جالسةً على الأرض. اجعلي نفسك على بعد قدم من وجهه لكي لا يجد صعوبة في التركيز عليك. ثانياً يجب أن تساعدك على فتح وإغلاق ما نسميه «دوائر التواصل» وتشمل هذه العملية قيام كُل منكما بإرسال واستقبال إشارة من الآخر. تبدأ دائرة التواصل أولاً عندما يُرسل طفلك إشارة معينة إليك.

لنفترض أنك تستلقين مع طفلك ذي الأشهر التسعة على الأرض وفي متناول أيديكما كرة حمراء بَرّاقة. لاحظي كيف تلمع عينا طفلك عندما يشاهد الكرة ويبدأ بالزحف إليها. إنَّ طفلك لتوّه قد أرسل إليك رسالة إيمائية مفتوحة الدائرة وهو البريق في عينيه، وقد تحرك ليحقق رغبته في اكتشاف الكرة. ربما تستجيبين لإشارة طفلك بتحريك الكرة مسافة إنشٍ أو إنشين لتصبح أقرب إليه. عندما يصل إلى الكرة أو يشير إليها مبتسماً أو مردّداً بعض الأصوات - يكون بذلك قد أغلق دائرة التواصل. عندما تصبح الكرة في قبضته تقومين بلفت نظره بهزّ رأسك والتصفيق بحرارة وأنت تقولين: «يا لها من كرة جميلة تلك التي وجدتها» إن هزّ رأسك والتصفيق بيديك يعطي طفلك شعوراً بأنك راقبته وهو يسعى خلف أمرٍ يريده وأنت تحتفلين بنجاحه في الحصول عليه. إن الكلمات التي تقولينها لا تعني أي شيء بالنسبة له لكنه يلتقط النبذة الدافئة في صوتك. بالمقابل فإن طفلك سيبتسم لك ويأخذ الكرة ويضعها في فمه ويبدأ بمضغها. إن ابتسامته لك

تطمئنك على أنه قد سمع القبول في نبرة صوتك. في كل مرة يستجيب فيها طفلك بشكل هادف لإيماءاتك يكون قد أغلق دائرة من دوائر التواصل. إن هذا النوع من الحوار الذي يتم بواسطة الإيماءات يُعتبر أمراً مهماً عند الرضع في هذا السن. إن تفاعل الرضع مع الألعاب يستمر فترة طويلة بعد أن يخفت اهتمام الكبار بها. لذلك يجب أن تكوني مستعدة لإعطاء طفلك الكرة الحمراء البراقة وأخذها منه لفترة طويلة من الزمن! إنك لن تصابي بالملل إذا ركزت على البهجة في عيني طفلك بدلاً من التركيز على الحركات المتكررة التي تقومين بها.

صحيح أن طفلك ينشد إلى الحركات المتكررة إلا أنه يتمتع أيضاً بالتجديد، حاولي أن تدرجي الكرة في اتجاهات شتى إلى اليمين وإلى اليسار من طفلك أو خبئي الكرة في يدك من حين لآخر ولاحظي إن كان سيبحث عنها. كلما جعلت لعبة الأخذ والعطاء ممتعة بالنسبة لك ستصبح ممتعة بالنسبة له أيضاً. شجعي طفلك على القيام ببعض المبادرات، انتظري قليلاً لتري إن كان سيدرج الكرة في اتجاه جديد. إن تمتعه الواضح بلعب دور القائد في الألعاب التي تقومان بها على الأرض سوف تجلب السرور لكل منكما.

يمكن أن تأخذ ألعاب التواصل على الأرض أشكالاً لا حصر لها. إذا كان طفلك يستطيع الاستناد إلى يديه وركبتيه والزحف بشكل جيد حاولي أن تلعب معه لعبة المطاردة. في نهاية هذه المرحلة من مراحل التطور سيتمكن طفلك غالباً من أن يفتح دائرة من التواصل معك وذلك بالزحف بعيداً عنك ثم النظر إلى الخلف ليرى إن كنت تلاحقيه، وما أن تضعي أطرافك الأربعة على الأرض وتبدئين بملاحقته وإصدار أصوات حادة حتى يبدأ بالصياح مبتهجاً وربما يحاول تقليد أصواتك في سعيه لحملك على إطالة اللعب معه. هناك الكثير من الألعاب التقليدية التي تعتمد على الفعل والاستجابة مثل لعبة (باح يا - باح) وهي تجلب لطفلك الكثير من السرور لكنها لا تعطيه مجالاً

كبيراً للمبادرة. عندما تلعبين هذه الألعاب مع طفلكِ حاولي أن تجدّدي فيها قَدْر الاستطاعة. إن معظم الأطفال يُسرُّون بكلّ خطوة من لعبة (باح يا - باح). حاولي أن تواجهي طفلكِ وأنتِ تلعبين معه هذه اللعبة لكي يريّ تعابير وجهكِ ويستجيب لها ولطبقة صوتكِ ولأحاسيس الدغدغة التي تسببها أصابعكِ.

كلّما أنهيتِ مقطعاً انظري إلى وجه طفلكِ وتجاوبي مع التعابير التي تظهر عليه. سيتعلم طفلكِ أنّ استجاباته تقودك إلى الخطوة المثيرة التالية في هذه اللعبة. تجاوزي أحد أصابع قدميه وأنتِ تلعبين معه ولاحظي إن كان قد انتبه إلى ذلك. عندما تصل اللعبة إلى نهايتها أطيلي فترة الدغدغة وعانقيه في نهاية الأغنية أو انفخي على بطنه. ابقه في حالة ترقُّب لنوع المتعة التي سيلاقيها في آخر اللعبة. فكّري في كمّ التواصل الذي توفّره لعبة واحدة مثل «با يا باح» فطفلكِ هنا لا يفتح ويغلق الكثير من دوائر التواصل وحسب وإنما يتعلم أيضاً كيف يتمتع بنكهة التوقُّع.

إن هذه التفاعلات عبارة عن حوارات صادقة مبنية على إيماءات متبادلة. عندما يبلغ طفلكِ الشهر الثامن من العمر قد يكون بإمكانه أن يفتح أربع أو خمس دوائر من التواصل أو أكثر بشكلٍ متتابع، وهو يتفاعل معكِ عن طريق الإيماءات. وعندما يبلغ السنة والنصف من العمر قد يتمكن بسهولة وثقة أن يفتح ويغلق من 20 إلى 30 دائرة أو أكثر بشكلٍ متتابع. إن المفتاح هنا هو أن تجذبي طفلكِ تدريجياً إلى الدخول في تيار مُستمر من دوائر التواصل. إنّ هزات الرأس والابتسامات وتقطيبات الحاجبين تُعتبر بمثابة ترقيم لكلّ محادثة بينكِ وبين طفلكِ.

إبقاء التواصل مستمراً

إن التمرين يؤدي إلى الامتياز، الآن وقد بدأ طفلكِ يستخدم مجموعة من الإيماءات والألفاظ يجب عليك أن تبحثي عن مواقف يستطيع طفلكِ من

خلالها أن يستخدم مهاراته الجديدة لإعلامك برغباته ومشاعره، أولاً يجب عليك أن تبحثي عن طرق لمشاركته في الأمور التي تثير اهتمامه، فمثلاً وأنت تلعبين معه على الأرض دعيه يقوم بالمبادرات التي يريدّها ثمّ تفاعلي مع مبادراته. إن هدفك هو أن تدفعي طفلك إلى الحركة لا أن تتحركي من أجله فذلك سيمكنه من اكتشاف العالم من حوله. بعض الآباء والأمهات ينصرفون إلى نشاطات ممتعة مع أطفالهم لكنها تُدار من جانب واحد، إن القليل من الدغدغة أو الشجار اللطيف يمتع الطفل لكن يجب أن يؤدي ذلك إلى تفاعلات تقوي قدرته الجديدة على استخدام مجموعة من الإيماءات للتواصل معك. على سبيل المثال: ضعي بعض الأوراق أو المحارم على الأرض قبل أن تدعي طفلك للعب معك ثم ضعيه على الأرض على بعد ذراع من هذه الأوراق. لا شك أنه سوف ينجذب إلى الأوراق ويبدأ بالتحرك نحوها، سيستخدم أصابعه للوصول إليها إذ إن إبهامه والأصابع الأخرى أصبحت تعمل الآن كامتداد لقمه وهو يستخدمها لاكتشاف أي شيء تطاله يده. في الحقيقة إنه سيصبح مع الأيام خبيراً في تناول الأشياء وسيحب التقاط الأشياء الصغيرة كالحشرات وكرات الغبار. عندما يصل طفلك إلى الأوراق راقبي وجهه وهو يشع بالسُرور، أو لاحظي كيف يقطب جبينه وهو يركّز على الأوراق وهي تتجعد بين يديه، عندها واجهي طفلك ودعيه يرى ملامح التعاطف على وجهك وأنت تأخذين الأوراق منه وتسألينه «هل أستطيع أن ألعب معك؟». حاولي أن تعيدي له قطعة الورق وترقبّي الاتجاه الجديد الذي ستأخذه اللعبة بينكما. باستطاعتك أن تنوعي التفاعل مع طفلك بوضع ساعة تدق على الأرض بجواره لجذب نظره أو بأن تقلدي صوت سيارة سباقٍ وتنتظري فيما إذا كان سيبدأ لعبة المطاردة معك. عندما يبدأ التفاعل بينكما لا تحاولي التحكم في سير اللعبة ودعي طفلك هو الذي يقودها. سرعان ما ستدركين نمط طفلك الخاص في التواصل معك، إن الكثير من الرضع في هذا السن يستخدمون بشكلٍ فطري الكثير من الإيماءات

فهم يشيرون بأيديهم أو يتخذون وضعيات معينة بأجسادهم أو يحركون أذرعهم أو يكشرون في وجوه أمهاتهم.

أطفال آخرون قد يكونون أكثر تكثماً وقد يحتاجون إلى الكثير من الوقت قبل أن يصبحوا جاهزين للانطلاق والتفاعل معك. احترمي نمط طفلك الخاص وحاولي أن تطابقي طريقته في التلفظ والشكل العام للوضعيات التي يتخذها. عندما يعكس نمط تفاعلك مع طفلك درجة انفعاله سوف يعرف أنك قد التقطت الرسائل التي يوجهها إليك. على سبيل المثال إذا كان طفلك يتفاعل مع الأصوات الصاخبة دعيه يعرف أنك قد فهمت مزاجه بأن تهزي رأسك بسرعة وترددي الأصوات التي تعجبه، بعد ذلك حاولي أن تشديه إلى نمط أكثر هدوءاً بأن تبطئي نظم الأصوات، إذا استمررت في تهدئة صوتك فإن طفلك سيستعيد في النهاية إحساسه بالهدوء. أحياناً قد يتوقف طفلك عن اللعب معك أثناء لعبكما على الأرض، أعطه مزيداً من الوقت لكي يرتاح.

إن الحوار عن طريق الإيماءات قد يكون متعباً وإن عشرين دقيقة من التفاعل بينك وبين طفلك قد تكون أمراً فوق استطاعته، انتقلي إلى لعبة أكثر تنظيمًا مثل لعبة «باح يا باح» أو قومي بالتربيت على ظهره بطريقة مهدئة. باستطاعتك أن تظلي متفاعلة مع طفلك بطريقة تريحه بأن يقوم كل واحد منكما بالتربيت على يد الآخر. أو أن يهز كل واحد منكما ذراع الآخر بانتظام. تخيلي كم يكون الأمر منعشاً عندما تتبادلين مع زوجك العناق والرسائل في نهاية يوم متعب.

يوجد طريقة أخرى لإعادة طفلك إلى التواصل معك وهي أن تبقي الحوار الغير لفظي قائماً بينكما ولكن بطريقة هادئة. قدمي له بعض المفاجآت الصغيرة ليظل اهتمامه بك مستمراً. استخدمي تعابير مصطنعة على وجهك، تقمصي شخصية المطارد عندما تلعبان معاً وكوني على سجيبتك قدر الإمكان.

إن الفترة التي يستطيع فيها ابنك الاستمرار في الانتباه تزداد بسرعة كبيرة. في الشهر الثامن يستطيع الطفل أن يركّز على شيء واحد لفترة تتراوح ما بين أربعين إلى ستين ثانية. ساعديه ليبقى مركّزاً لعدة ثوانٍ أطول في كل مرة تتفاعلين معه وذلك بأن توفّري له المعلومات بطريقة يستطيع أن يفهمها.

بمختصر العبارة: دعي طفلك يقودك، استجبي لرسائله بطريقة متعاطفة ودون تأخير، وحاولي أن تُغني وتوسعي أسلوبك في الحوار معه بطريقة الإيماءات.

عندما تبين قدرتك على التواصل مع طفلك سيتمكن من رؤية حبك واحترامك له من خلال البريق في نظرة عينيك والاهتمام به في هزة رأسك وحبّ اللعب في صوتك والدراما في لغة جسدك.

كيف تساعدن رضيعك على استخدام جسده في التواصل مع الآخرين

عندما يبلغ الطفل شهره الثامن أو التاسع يستطيع أن يقوم بفعلين متتابعين على الأقل من أجل بلوغ هدفٍ معيّن. على سبيل المثال: إذا شاهد طفلك لعبة دبّ على بعد أقدام منه سيكون قادراً على الزحف باتجاهها والإمساك بها. إن قدرته على التخطيط لعدة حركات والذي ندعوه التخطيط الحركي أو التابع الحركي يجعل من السهل على الطفل أن يعبر عن نواياه. تصوّري الإحباط والغضب الذي سيشعر به لو أنه رأى لعبة الدب وأراد أن يتفحصها وأن يشبع فضوله لكنه لا يستطيع أن يرتّب حركاته بحيث يزحف إلى الدب ويمسك به.

أثناء مراقبتك لطفلك وهو يستخدم مهاراته الحركية ليصل إلى الحاجات التي يريدّها حاولي أن تتنبهي بشكل خاص إلى الطريقة التي يستخدم فيها عضلاته الكبيرة، على سبيل المثال: كيف يزحف، كيف يمشي، كيف يصل إلى الأشياء. إذا بدا بطيئاً أو متردداً قد يكون السبب أنه يحتاج ببساطة إلى مزيد من الممارسة، وقد يكون السبب أيضاً أن لديه

صعوبة في التخطيط لأفعاله. راقبيه مع مرور الوقت ولاحظي إن كان يتحسن أو أنه ما يزال يعاني من الصعوبات. إذا كان طفلك يجد صعوبة في القيام بحركتين متتابعتين فإنه قد يشعر بالإحباط في محاولته لإعلامك بما يريد، وسوف تجددين صعوبة في معرفة ما إذا كان يشعر بالثقة أم الفضول أم السعادة أم الغضب، لأنه لا يستطيع أن يوجه جسده لإرسال الرسائل التي يريد أن يخبرك بها. من الصعب أن تشعرى بالتواصل مع طفلك إذا كان يعطيك إشارات محيرة. إحدى الطرق لتجنب سوء فهم مقاصد ابنك هي أن تلاحظي عن قرب قدراته الحركية. انتبهي إلى مقويته العضلية فإذا كانت عضلاته صلبة أو متوترة فإنه لن يستطيع السيطرة على حركاته، وربما تجاوز الشيء الذي يريد الإمساك به. إن فضوله قد يفهم على أنه نوع من العدوانية فقد يحاول أن يضع يده على فمك وأنت تأكلين شيئاً أثار اهتمامه فيضرب أنفك بطريق الخطأ.

كذلك الطفل ذو المقوية العضلية الضعيفة قد يخطئ أبواه في فهم مقاصده. لنفترض أنك انتزعت لعبة مفضلة من بين يدي طفلك وأنه قد غضب نتيجة لذلك، قد يكون لديه رغبة شديدة في أن يقرصك أو يضربك لكنه لا يستطيع فعل ذلك بسبب عضلاته الضعيفة (في هذه المرحلة من التطور يستطيع طفلك أن يعبر عن عدوانيته بطرق جسمانية أخرى غير البكاء). قد يحاول الوصول إليك لكي يضربك لكنه يسقط ويبكي شاعراً بالغضب والإحباط. إذا أخطأت في قراءة بكائه وافترضت أنه يبكي بسبب الألم وعانقته بحرارة تكونين قد أسأت فهم مقصده. إن مشاعره المشروعة في الغضب والهجوم تكون قد أنكرت في هذه الحالة.

إذا ظلت لديك مخاوف بشأن قدرة طفلك على السيطرة على عضلاته والقيام بأفعال متتابعة استشيرى طبيب الأطفال أو أخصائي التطور. بما أن قدرة طفلك على إرسال الإشارات وبالتالي مهاراته في التواصل تعتمد على قدرات جهازه الحركي انتبهي دائماً إلى المقوية العضلية عند طفلك وقدرته

على القيام بأفعال متتابعة قبل أن تقفزي إلى أي استنتاجات سريعة حول مزاجه. وأخيراً، إذا كان طفلك يعاني من صعوبة في إخبارك بما يريد فإن ذلك سيؤثر بالتأكيد على مزاجه.

كيف تساعدin طفلك على التعبير عن كل مشاعره

إن الاستجابة المناسبة لابتسامة طفلك قد تكون عملاً لا جُهد فيه من جانبك، لكنه يعتمد على قراءتك لمشاعره والتعاطف معه، بما في ذلك الإشارات السلبية كالصرخ أو القَرْص.

إنه يحتاج إلى تغذية راجعة تقدمينها له عن طريق الإيماءات حول كل العواطف التي يستطيع التعبير عنها. كلما قرأت الإشارات المختلفة التي يعبر فيها عن سعادته أو احتجاجه واستجبت لهذه الإشارات بشكل مناسب فإن طفلك سوف يميز الاختلافات الطفيفة في مشاعره ومشاعر الآخرين. عندما تتعاطفين مع طفلك وتشاركينه السرور والإحباط فسوف يشعر أن عواطفه قد فهمت. وسوف يعبر عن مشاعره كحاجته في أن يكون قريباً منك (الاعتمادية)، والشعور بالفرح أو الحب أو الفضول وكذلك الإصرار أو الغضب. يجب أن يفهم أن الإحساس بكل أنواع المشاعر هو أمر جيد.

قد يتصرف طفلك أحياناً بشيء من الانعزالية أو الحذر. لا تنزعجي من بروده المؤقت ودعيه يعرف من خلال إيماءاتك أنك تفهمينه. حافظي على دفء العلاقة بينكما عندما تكونين قربه باستخدام حركات الرأس البطيئة التي تبدين من خلالها موافقتك له، ثم بالتدريج أظهرى بريقاً في عينيك وحركات في فمك لتدفعيه إلى الرغبة في التفاعل معك مرة أخرى. إن إدخال أمر جديد في طريقة تفاعلك مع طفلك ولو كان أمراً بسيطاً كتغيير طبقة صوتك قد يشده إليك. أهم شيء هو أن لا تفترضى أن انعزاليته المؤقتة هي رفض لك، هو فقط يحتاج إلى فترة من الراحة وقليل من المساعدة لإعادة التواصل بينك وبينه.

لنلقِ نظرة عن قرب على الطريقة التي يُعبّرُ فيها طفلكُ عن المشاعر السلبية الأخرى كالغضب أو المرارة. قد تنشأ هذه المشاعر في البداية عندما تأخذين من الطفل شيئاً يحبه. إنه قادر الآن على الشعور بالفقد والغضب عندما تُزاح الأشياء من أمامه وأنه بدأ يدرك أن الأشياء تظل موجودة حتى لو كانت خارج مجال نظره. قبل عدة شهور لم يكن يدرك أن اللعبة المفقودة لا تزال موجودة، وكان باستطاعتك أن تأخذي لعبةً من مهده دون أن يفتقدها.

ولكن الأمر يختلف عندما يبلغ الشهر التاسع من العمر. قد يهتاجُ طفلكُ إذا أراد شيئاً ولم يجده وقد يضربُ لعبةً أخرى بحافة مهده من شدة الغضب. إنَّ الطريقة التي قد تستجيبين له بها في تلك الأوقات سوف تنقل رسالة هامةً له عن كيفية شعورك تجاه الغضب والعناد بشكل عام.

ضعي في ذهنك أن أهم شيء في الموضوع هو أن يشعر طفلكُ أن باستطاعته الاستمرار في التفاعل معك، حتى عند مروره بالمشاعر السلبية كالغضب والتوتر. إن ذلك يعني أنك تقبلين حقَّ طفلكُ في أن يصرخ أو يغضب لكنك تستجيبين لذلك بإيماءات دافئة ومهدئة.

إننا لا نقترح هنا أن تناغي طفلك بنبرة ناعمة فإنَّ ذلك سيزيد من إحباطه إذا كان غاضباً. استجيبِي لهياج طفلك وصياحه بإيماءات تنقلُ إليه تعاطفك معه. قلّدي انفعاله بشكل مؤقت بأصوات منك وهزات سريعة من رأسك. أخبريه بصوت منفعّل «أعلم أنك غاضب جداً من والدك» ثمَّ حاولي بالتدريج أن تسحبته إلى مستوى أكثر هدوءاً يستطيع فيه أن يفتح ويغلق دوائر التواصل معك. حاولي أن تبطئي نظمَ كلامك «هيا، هيا أيها الصغير.. هل تشعر بالتحسن الآن؟ لنأخذ نفساً عميقاً، حسناً؟» إن ذلك سيساعده على أن يهدئ نفسه وهو يحافظ على توافقه معك.

عندما تقبلين حقَّ طفلكُ في الشعور بالغضب وتستجيبين لمشاعره بإيماءاتك الخاصة ثم تهدئينه بواسطة هذه الإيماءات فأنت تعلمينه كيف يعود إلى التواصل المتبادل معك.

يجب أن تتجنّبي استخدام بعض الإيماءات كالتحديق بغضب أو تقطيب الجبين أو تصليب الظهر فهي تسبّب لطفلك الخوف وتبعده عنك. كذلك يجب أن تتجنّبي الرقة المبالغ فيها فهي ستزيد من إثارته، بدلاً من ذلك ساعدي طفلك على بناء مهاراته الجديدة في التواصل بإعادة استخدام المهارات التي تعلّمها سابقاً في تهدئة نفسه والاعتماد على حبك حتى ولو كان غاضباً منك.

إحدى المشاكل العاطفية التي تصادف الآباء والأمهات مع الأطفال في سنّ تسعة أو عشرة أشهر هي سرورهم الواضح بأجسادهم. إنّ الطفل في هذه المرحلة ينشغل كثيراً باكتشاف كلّ أجزاء جسده لأن قدرته على التحكّم بعضلاته تمكّنه في هذه السنّ من الوصول إلى أجزاء جسمه ومعاينتها بأصابعه. قد تجددين طفلك يمسّ أصابع قدميه أو يشدّ أعضائه التناسلية. إنّ هذا السلوك الطبيعي قد يغضب بعض الأمهات والآباء فيستجيبون بإيماءات متوترة أو بنبرة صوت غاضبة تُشعر أطفالهم بالاضطراب. تذكّري أنّ الأطفال في هذه السنّ يطلبون المتعة وهكذا يتمتّعون باللعب بأجسادهم. إذا كان طفلك يقضي الكثير من الوقت وهو يتفحص جسده فربما يكون ذلك محاولة منه لإشعار جسده بمستوى معيّن من الإثارة. بما أنّ طفلك يفضل غالباً أن يتفاعل معك على أن يكون لوحده حاولي أن توفّري له بدائل أفضل من تفحص جسده لوحده. دعي طفلك يلعب بشعرك والعبي أنت بأصابع قدميه. أشيري بإصبعك إلى أنفه وفمه ومعدته ثم إلى أنفك وفمك ومعدتك وأضيفي شيئاً من الدغدغة والمداعبة إلى لعبتك لتجعلها أكثر إبهاجاً.

عندما يتواصل كلّ منكما مع الآخر سيتعلّم طفلك أن التفاعل مع الآخرين يمكن أن يساعده على الشعور بالمتعة التي تحسّ بها من خلال جسده. إنّ الأطفال الذين يتمتّعون بمداعبة أجسادهم ذاتياً يحتاجون غالباً إلى المزيد من الهزّ والتفاعل معهم. حاولي أن تبالغي في الاحتشام وأن لا تكوني مفرطة الحساسية لسرور طفلك بتلمّس جسده. ساعديه على أن يوجد

توازنًا بين سروره عندما يكون لوحده وسروره بتفاعلكما معاً.

دعي طفلك يقودك لبعض الوقت

بما أن طفلك يستطيع الآن بفخر أن يحرك الأشياء عن طريق إخبارك بالذي يريده فقد تصبح عنده نزعة للتحكم بك. سوف يجد من الصعب الخضوع لك في بعض الأوقات وقد يغضبه ذلك. لا تأخذي الأمر بشكل شخصي، إن طفلك يتعلم كيف يجذب اهتمامك في كل مرة يعبر فيها عن رغباته من خلال إيماءاته، إنه ببساطة يريد أن يستمر في تأكيد ذاته.

باستطاعتك تجنّب الكثير من الصراع على السلطة الذي يحدث عادة إذا تركته يتحكم في اللعب معك لبعض الوقت. إن الرضع يحتاجون إلى الاحترام والإعجاب بما يبدونه من إصرار ويمكنك أن تمنحهم الكثير من ذلك بإعطائهم زمام القيادة أثناء اللعب على الأرض. إذا كان طفلك يريد أن يرمي لعبه دعيه يعتقد أن هذا الفعل يروق لك أيضاً. تظاهري بالحماس إذا كان ذلك ضرورياً، ستفاجئين بالمتعة التي ستشعرين بها عندما تعطين القيادة لطفلك لبعض الوقت.

لنفترض أن طفلك رمى مكعباته على الأرض ثم على غطاء قدير وهو ينظر إليك منتظراً ردّة فعلك. باستطاعتك أن تنظري في عينيه وتقولِي (يا لها من لعبة ممتعة، أنصت إلى هذه المكعبات التي تصدر ضجيجاً). بعد ذلك يمكنك أن ترتكسي لكل صوتٍ بطريقة مختلفة، ضعي يديك على أذنيك عندما يصدر صوت قرقعةٍ وابتسمي عندما يكون الصوت مبهجاً أو منتظماً. سيدرك طفلك من خلال هذه الإيماءات أن مبادراته يمكن أن تسبب استجابات متنوعة.

عندما تتركين طفلك يأخذ بزمام الأمور أثناء لعبكما على الأرض معاً ستعرفين الأمور التي يفضلها وستزيدين قدرته على التواصل معك. كما أنك بإشراكه في القيادة ستشعريه بأهميته وستتجنيين الصراع على السلطة معه بتركه يقود اللعب لبعض الوقت.

معوقات التواصل:

طالما أنك تشجعين طفلكِ على قيادتكِ أثناء لعبكما على الأرض فسوف يتطور لديه شعور عميق بأنه سيُد مملكته الصغيرة. يمكنكِ بعد ذلك أن تضعي له حدوداً في مجالات حياته الأخرى. وبما أنه يركّز بشكل متزايد على العالم الخارجي المثير ويريد أن يفعل عدة أشياء في وقت واحد فقد يرهق نفسه أحياناً وقد يصبح مشوشاً ومُتعباً ويحتاجُ إليكِ لمساعدته على تهدئة نفسه.

لقد علّمت طفلكِ معنى هزّات الرأس والابتسامات التي تعبّر عن إعجابكِ به وهو بحاجة لأن يتعلّم ما معنى أن تهزّي رأسك من جانب إلى آخر ومعنى الرسالة التي تحملها كلمة (لا).

بإستطاعتكِ أن تستخدمِي إيماءات أخرى تعبّر عن الرفض كأن تنظري إليه نظرة حازمة مترافقة مع إصبع مرفوع أو تحدثي طقة بلسانك. إن الإيماءات والكلمات التي تستخدمينها لإبعاده عن خطر ما ستوسّع معجمه من الإيماءات.

بعد تكرار هذه الإيماءات عدة مرّات ستصل الرسالة إلى طفلكِ عندما يسمعُ صوتكِ الحازم أو عندما يرى تعابير الرفض على وجهكِ.

في بعض الأحيان تجدين نفسكِ مضطّرة للركض وحمل طفلكِ بعيداً (إذا كان يعبث بمصدر الكهرباء أو يحاول ضرب طفلٍ آخر). يجب أن تدركي أن هذه الحركات الهادفة هي فرصٌ لتعليم الطفل.

هناك المزيد من الحركات البسيطة التي تستطيعين من خلالها أن تعلّمي طفلكِ كيف يستجيب لإيماءاتكِ. إذا كان طفلكِ مستمراً في وضع يديه على المشع الحراري المتسخ بالغبار على الرغم من محاولتكِ المتكرّرة لصرفه عن ذلك، قومي بتدويره بحزم وأرسله في الاتجاه المعاكس ولا تنسي أن ترفعي إصبعكِ وأنّ تقولين «لا، حسناً» بصوتٍ عميق وأنّ تنظرين إليه.

قطبي حاجبيك لكي لا يظن أن هذه لعبة «تعال وامسك بي». استعدي أيضاً لتغيير طبقة صوتك إذا كان ذلك يخيف طفلك. بعض الرضع يستجيبون لمجرد أن تخاطبهم أمهاتهم بطبقة صوت أكثر عمقاً.

عندما تتعلمين بشكل فعال كيف تقرئين وترسلين الإيماءات سوف يدرك طفلك العلاقة الواضحة بين السبب والنتيجة وفي النهاية سوف يغير طفلك السلوك الذي توافقين عليه لأنه يحبك وأصبح معتمداً على الحب والدفع الذي يشعر به عندما تكونان معاً.

إن إيماءات الموافقة التي تبدينها تهمة أكثر من حاجته إلى اكتشاف ما يحيط به. ومع ذلك تذكري أن طفلك قد بدأ لتوه بفهم الإيماءات التي تعني (لا) وسوف يفهم معنى (لا) بشكل كامل في المرحلة التالية من مراحل تطوره العاطفي.

إلى ذلك الحين استمري في مساعدة طفلك على مراقبة إيماءات الرفض والقبول التي تبدينها له وعلى الاستجابة المناسبة لهذه الإيماءات، ومع الوقت سوف يتعلم أن حرمان نفسه من بعض الأمور يشعره بالارتياح لأنه يتوافق مع إحساسه بالقبول منك من خلال صوتك المشجع وهزات رأسك التي تعبر عن رضاك. هذه المشاعر الإيجابية سوف تتطور في النهاية لشكل تقديره لذاته.

التواصل غير اللفظي مع الطفل عندما يكبر

إن الإيماءات البسيطة التي تتبادلينها مع طفلك تشكل رسائل سيستمر طفلك في قراءتها في وجوه وأجساد كل الناس الذين يصادفهم. إن هذه الرسائل غير اللفظية تنقل معلومات مهمة عن الآخرين فهي سوف تعلم طفلك أن يثق بالأصوات اللطيفة المسترخية وأن يقلق من النظرات المختلطة والحركات المتوترة والسريعة.

هناك نبرات صوت ووضعيّات معينة سوف تنبئه بالخطر في حين أن تعابير الوجه الفارغة أو الأطراف التي تتحرّك بتملّمل ستخبره أن الآخرين لا ينصتون إليه. أثناء نمو الطفل ستعلمينه كيف ينتبه إلى كلّ الرسائل غير المحكية التي تنقلها لغة الجسد.

على الرغم من أنّ الكلمات المحكية تحمل معاني رمزية بالنسبة للطفل إلا أن الوقت الذي تقضيه معاً أثناء لعبكما على الأرض يجب أن يكون مليئاً بالإيماءات لأنها تؤكد - وأحياناً تناقض - معنى الكلمات التي تستخدمونها.

يوماً ما في المستقبل سوف تمثّلين مع طفلك ذي السنة الثالثة أو الرابعة من العمر قصة «ليلي والذئب». قد يأخذ طفلك دور الذئب المتخفي في ثوب الجدة وسوف يستجيب لقولك «ما أكبر تلك العينين يا جدّتي!» بقوله «لكي أراك بهما يا عزيزتي» وسوف ترين طفلك يوسّع عينيه ويزمّ شفّيته. بهذه الطريقة هو يبيّن عن طريق الإيماءات أنه يفهم أنه على الرغم من عذوبة الكلمات فقد تخفي خلفها نوايا شريرة. إنه بذلك يبدأ بفهم حقيقة أن الأفعال والإيماءات قد تكون مناقضة للكلمات وأنّ التواصل الحقيقي بين الناس هو ذاك الذي يتمّ التعبير عنه بحركات الأجساد. يا له من درس قوي يتعلّمه طفلك وفي السنوات القادمة ستساعدينه على تكوين آرائه وفي يوم من الأيام سيكون قادراً على التفريق ما بين شخصٍ مخادع وآخر صادق. تذكّري أثناء تعليم طفلك هذه الدروس المهمة أنه ما زال يحتاج إلى الراحة التي تجلبها له نظراتك الدافئة وهزّاتك الحانية. استمرّي في تهدئته والتودّد إليه كلما أصبح الحوار بينكما أكثر تعقيداً وإثارة.

رفع العائق

حتى الألعاب البسيطة التي تتضمّن تواصلاً متبادلاً بينكما ستوفّر للجهاز العصبي عند طفلك تمريناً واسع الطيف. إن هذه الألعاب ستعلّمه كيف ينظّم

عدة أفعالٍ في الوقت ذاته . فمثلاً عندما تلعبين مع طفلكِ لعبة (النظر وإطلاق الصوت) ستطوّرين قدرته على النظر إلى وجهكِ وسماع كلماتكِ وتحريك يديه بشكل متوافق عندما يصل طفلكِ إلى أنفكِ ويضغط عليه فتفتعلين حركة وتقولين (تشو - تشو) فإنكِ تعلمينه كيف ينظر ويسمع ويتحرّك في نفس الوقت . إنه مندفع بشكل قوي إلى دراسة إيماءاتكِ وفهمها لأنه يحبُّكِ ويتمتع باللعب معكِ .

إن طفلكِ يستطيع الآن أن يقوم بأكثر من عمل في نفس الوقت وإن قدرته على المكاملة بين قدراته تحت مظلة فعلٍ يقوم به لتحقيق هدفٍ معيّن سوف يقوّي جهازه العصبي وعقله خلال هذه الفترة من تطوّره .

خلال السنة الأولى من عمره سيصبح طفلكِ أكثر انتباهاً إلى الخواص المتفرّدة التي يتصف بها جهازه العصبي وشخصيته . يجب أن تنتبهي إلى الحواس التي يفضّل استخدامها وتلك التي تحتاج إلى تقوية . أثناء تركيزكِ على الحواس التي يسهل عليه استخدامها لا تنسي أن تشجّعيه على استخدام الحواس الأخرى . على سبيل المثال : إذا بدا أن طفلكِ يستجيب بشكل خاص للأشياء التي يراها أكثر من الأشياء التي يسمعها، إبدأي بالرسائل البصرية كالابتسام أو تقطيب الحاجبين أو دعيه يساعدك في إدارة زرّ يضيء مصباحاً كهربائياً . بعد أن يكون كلُّ منكما قد فتح وأغلق عدة دوائر من التواصل بالتركيز على الرسائل البصرية يمكنكِ الآن أن توسّعي من طيف إيماءاتكِ لتشمل المزيد من الأصوات والحركات . حاولي أن تصدري أصواتاً عند إشعال الضوء ، وقد تقومين بهزّ طفلكِ بين ذراعيكِ أو تغنين أغنية معيّنة . لاحظي إن كان طفلكِ سيصدر أصواتاً أو يحرك يديه لدفعكِ إلى إطفاء الضوء . سوف يشعر طفلكِ أنّ التحرك والإنصات يمكن أيضاً أن يكون جزءاً من التجربة البصرية .

عندما تنجحين بجذب انتباهه عن طريق تفعيل حواسه الأقوى سيكون

أكثر استعداداً للتركيز عليك أثناء مساعدته في تمرين الحواس الأضعف. وبالمقابل إذا كان رضيعك يحتاج إلى تقوية حاسته البصرية ركّزي في البداية على الأصوات والحركات أكثر من تركيزك على الأضواء. وبشكل عام حاولي أن تجعلي المنبهات الأولية التي تعرّضين طفلك لها هي تلك الموافقة لحواسه القوية ثم وسّعي هذه المنبهات انطلاقاً من هذه النقطة.

عندما يتعلّم طفلك الاستجابة لأنواع متزايدة من الإيماءات سيكامل ما يراه وما يسمعه وما يلمسه مع الحركة. إذا لاحظت أنه لا يستخدم كلّ عضلاته وهو يتفاعل معك وفّري له تمارين تساعد على تدريب المزيد من تلك العضلات. إبدأي معه لعبة تقفين فيها من وضعية الاضطجاع وأنّ تصدرين صوتاً ولاحظي إن كان سيقلّدك كما تفعل القروود.

ضعي نفّخة عيد الميلاد ودعيه يراقب الأنبوب الورقي وهو ينفرد ويصدر صوت صفير. إن هذه اللعبة ممتعة بصرياً وتصدر صوتاً وسوف تدفعه إلى الاقتراب منها لالتقاطها.

أعطي رضيعك الكثير من الحوافز ليمارس النظر ومدّ اليد والزحف في نفس الوقت. إذا كان طفلك يتردّد في الإمساك بالأشياء الصغيرة ضعبي قطعاً صغيرة من الطعام بشكل منمّق على صينية طاولته.

عندما يبدأ طفلك بالتفاعل وكأنه فرقة مؤلّفة من شخص واحد يعزف على «آلاته» الجديدة مستخدماً النظر والصوت واللمس والحركة فإنّ عواطفه واهتماماته العاطفية هي التي ستدفعه إلى استخدام هذه الحواس معاً. تأكّدي من خلق الكثير من الفرص لطفلك ليفعل فرقة المؤلّفة من شخص واحد بطريقة ممتعة وهادئة.

الدقائق السحرية

لا يمكن تعلّم مهارات التواصل بين عشية وضحاها. إن طفلك يحتاج

إلى انتباه مستمرّ منك كل يوم، لعدة مرّات بحيث يتم استخدام لغة الإيماءات بشكل كافٍ.

إذا كنتِ تقضين ساعاتٍ في العمل بعيداً عن طفلك كل يوم يجب أن تبذلي جهداً خاصاً لتوفير أوقات اللعب معه على الأرض وتعتبرينها أوقاتاً مقدّسة. إحدى الأمهات تعلّمت بأسلوبٍ قاسٍ أنه عندما يحتاج طفلها إلى التواصل معها يجب أن تجعل ذلك في مقدمة أولوياتها. في معظم الأمسيات عندما كانت هذه الأم تأتي من عملها كانت تلاحظ أن طفلها الذي يبلغ الشهر التاسع من عمره منزعجٌ منها. كان ينسحب من بين قدميها ويبكي. وكان يشيح بوجهه عنها كلّما انحنى لتحمله. كانت الأم غالباً ما تعانق طفلها وتقبله بسرعة ثم تضعه على الأرض لتلتفت إلى إفراغ الجلاية والبدء بتحضير العشاء. بوجود طفلين آخرين أكبر منه سنّاً وزوجٍ سيأتي بعد ساعة كان وقتها ثميناً.

بعد فترة لاحظت الأم أنّ طفلها غير متعلّق بها وأنه يبكي عندما تعود إلى المنزل. وفي الحقيقة كانت لا تظهر الكثير من التفاعل معه كان عدم اهتمامه بها بمثابة خط أحمر جعلها تشعر بالقلق. لقد أدركت أن طفلها يحتاج لأن يشعر أنه يأتي في مقدمة أولوياتها وتساءلت فيما إذا كان يعتبر انشغالها بالمطبخ بمثابة رفضٍ له وبدأت تتودّد إليه بالنزول إلى الأرض واللعب معه بمجرد وصولها إلى المنزل. في البداية كان الطفل يزحف بعيداً عنها ويلعب بالأواني متجاهلاً وجودها، وبالتدريج بدأ يشعر أنّ أمّه قد عادت إلى عالمه وأخذ يتجه نحوها ويشدّ شعرها وبالمقابل أخذت تشده إلى حضنها وتعانقه بحرارة قائلة له «أنا مسرورة جداً لوجودي في المنزل معك». وهكذا بدأ الطفل وأمّه ينفقان الوقت في اللعب والزحف وتبادل الإيماءات.

بعد عشرين دقيقة كان كلّ منهما قد أهرق وقد أصبحا على توافقٍ تام عندما كانت الأم تعود إلى المطبخ كان الطفل أحياناً يترك الأواني التي يلعب

بها ويزحف نحو أمّه مطلقاً بعض الأصوات، كانت الأم تستمر في عملها فيعود الطفل إلى لِعِبِهِ ثم يرجع إليها ثانية. لقد أصبح واضحاً للأم من الآن فصاعداً أن التواصل مع ابنها من خلال اللعب على الأرض. يجب أن يأتي أولاً وأن أي شيء آخر يمكن أن ينتظر قليلاً. لقد أدركت أنه من الممكن اللعب على الأرض وتحضير العشاء في نفس الوقت.

بعض هذه (الدقائق السحرية) يأتي في أوقات غير مناسبة لكن بعضها الآخر يمكن التخطيط له في نهاية اليوم بعد أن يكون الطفل قد أخذ حمامه واسترخى. في المساء حاولي أن توفّري لابنك أوقاتاً من اللعب على الأرض تحيطينه فيها بشرنقة من التعاطف والتواصل، تبادلٍ مع طفلك لمسات الحب والألفاظ الناعمة لتسهلي عليه النوم في مهده.

كلّما قضيت مزيداً من الوقت في اللعب والتواصل مع ابنك أصبح الأمر ممتعاً ومثيراً بالنسبة لك. سوف تصبحين أكثر تلاءماً معه وأكثر انسجاماً مع نمطه الخاص في إرسال الإشارات. إذا ظلت بعض إيماءات طفلك غامضة فقد تحتاجين إلى رؤيتها أكثر من عشرين مرّة قبل أن تعرفي ما إذا كان طفلك يقرضُ أنفك على سبيل اللعب معك أم انتقاماً منك.

اجعلي منزلك يتحمّل اكتشافات طفلك

إذا شعر الطفل بالحرية في اكتشاف بيئته سوف يصبح أكثر انطلافاً في التعبير عما يريد، عندما تضعين الكثير من القيود على حبه للاكتشاف فإنك تقاومين رغبته في إثبات ذاته.

تستطيعين أن تتجسّبي النزاعات على السلطة غير الضرورية بالتأكد من أن طفلك يستطيع أن يكتشف بعض المناطق في منزلك بشكل آمن، وذلك بإزالة الأشياء الصغيرة ووضع بطانة على الزوايا الحادة وتغطية مآخذ الكهرباء وإزالة مصادر الخطر الكهربائية الأخرى.

إن الرضيع الذي لديه الكثير من الفرص للعب بالأشياء لن يشعر بأكثر من غضبٍ مؤقت عندما يمنع من بعض الأشياء، ولن يتوقف عن حبك عندما تزيح الأشياء الخطيرة بعيداً عن متناول يده وتقولين له «لا». عندما توفرين بيئة آمنة لطفلك فأنت تشجعينه على أن يظهر لك بإيماءاته وسلوكه كم يتمتع باكتشاف عالمه.

مساعدة الطفل المنزعج على التواصل

حتى الطفل الذي يدخل في حالة من الإنزعاج وسوء المزاج بإمكانك التواصل معه. القاعدة العامة هي أن تقومي دائماً بلطفٍ بتشجيعه على أن يستخدم جسده وصوته ليريك ما الذي يريده. مثلاً عندما تسمعين طفلك ذا الشهور الثمانية يبكي غاضباً في سلة اللعب الخاصة به ستندفعين غالباً إلى جانبه لتعرفي السبب، طالما تأكّدت من عدم وجود خطر فيزيائي قاومي رغبتك في حمله بين ذراعيك، في بعض الأحيان يفيد الانتظار لعدة دقائق قبل فعل أي شيء - وأن تبدين من خلال وجهك وصوتك اهتمامك به - في دفع الطفل إلى القيام بفعلٍ ما. أعطه مزيداً من الدعم اللفظي كأن تقولي له «هل تريد من أمك أن تحملك، هل تريد مني أن ألعب معك» على الرغم من أنه لن يفهم الكلمات التي تقولينها له إلا أنك تمنحينه الفرصة ليريك ما الذي يريد. أثناء هذه الثواني التي تواسينه فيها بكلماتك قد يدفع يديه فجأة ويطلب منك بشكل صامت أن تحمليه.

دعي طفلك يعرف أنك تتعاطفين مع مشاعره ولكن لا تتسرّعي في توقع حاجاته، امنحيه الفرصة لبنني مخزونه من الإيماءات. يستخدم الرضع جهازهم الحركي للتنفيس عن شعورهم بالإحباط. قد يضربون بأيديهم طاولة الكرسي الخاص بهم، أو يرمون لعبهم على الأرض. في هذه السن قد يستخدم الأطفال رؤوسهم وجذوعهم في صنع الإيماءات لأنهم يكونون أكثر سيطرة على هذه الأجزاء من أجسامهم. كثير من الأطفال يحتاجون إلى

الكثير من الفرص لبدأوا بالتفاعل بشكلٍ قوي. إنزلي إلى الأرض مع طفلكِ وشاركه بحركات منتظمة في لعبه. إن بعض الرضع يحتاجون إلى تدريب أرجلهم وأيديهم حتى لا يعتمدوا على رؤوسهم وأعناقهم فقط. البعض الآخر تعود على استخدام رجله وذراعه وسوف يرفضك أو ينغزك عندما يغضب منك في حين يحدق بعض الرضع إليك بصمتٍ أو يكون بصوت ذي طبقة مرتفعة أو حتى قد يعضون أنفسهم تعبيراً عن غضبهم.

استجابتك لمعظم إشارات طفلك الغاضبة حتى تلك الخفية أو الصامتة منها ستمكّنك بالتدريج من أن تعيدي إليه متعة التواصل مع شخصٍ آخر، وأن تعلمي طفلك أنك تفهمين مقاصده ومشاعره - سواء بشكل بسيط كأن تبسمي له أو ترمي شفيتك أو بأن تمدي يديك إليه عندما يستعيد ابتهاجه - هو أمرٌ مهمٌ خلال هذه الأشهر عندما ترينه يهز رأسه أو يبتسم أو يزُم شفتيه تستطيعين أن تطمّني على وصول رسالتك غير اللفظية إليه.

ما يجب فعله وما لا يجب فعله لمساعدة رضيعك على التواصل مع الآخرين

حاولي قدر الاستطاعة أن تدربي عدة حواس من حواس طفلكِ مع بعضها كالنظر والشم والسمع والحركة.

لا تكوني المسيطرة على الطريقة التي يلعب بها طفلكِ، دعيه يقودك في كيفية اللعب، وساعديه على الاستفادة من اهتماماته في توجيه وتنظيم قدراته الجديدة.

العبي مع طفلك الكثير من الألعاب العاطفية لفترات طويلة، كلما شاركتِ طفلك في المزيد من اللعب وتفاعلتِ معه أكثر ستشعرين بالمتعة أكثر.

اصنعي واستغلي الدقائق السحرية.

كيف يبني التواصل المتبادل الإحساس بالذات عند رضيعك

في الشهور الأولى من حياته لا يشعر طفلك بوجوده ككائن مستقل. إنه يحسُّ بنفسه كنوع من الانتباه الزائد للعالم الموجود في داخله ومن حوله. مع الوقت ستؤدي علاقته النامية بك إلى مزيدٍ من الانخراط في عالم البشر. إن إحساسه بذاته يصبح بالتدريج أكثر ارتباطاً بتواصلكما وتفاعلكما العاطفي وجزءاً من هذا التواصل.

والآن خلال هذه الفترة من التطور التي يحدث فيها التواصل المتبادل ينشأ عند الطفل شعورٌ بأنه يملك ذاتاً مُريدة. يبدأ طفلك في هذه السن بإدراك أن سلوكه يمكن أن يسبب استجابة من قبلك ويساعده على تحقيق ما يريد. إن إحساسه بذاته ينشأ كجزءٍ من علاقتهما معاً وفي نفس الوقت يشعر الطفل بأنَّ له وجوداً مستقلاً ذا غاية. عندما يشعر طفلك بحاجته إلى الحمل يعبر عن ذلك بأن يرفع يديه عالياً. إنه لا يعبر عن رغبته بشكل لفظي أو باستخدام الرموز كما يفعل الكبار. إن الرضيع لا يستطيع أن يفكر بهذا الشكل (أريد أن أحمل) لأنه لا يملك الكلمات بعد، لكنه يشعر بنية أو رغبة يوحىها بواسطة إيماءاته. عندما تستجيبين له بطريقة مناسبة وتحملينه فإن شعوره بالـ (أنا) التي تستطيع أن تدفع الأمور إلى الحدوث يتعزز. عندما تقولين (لا، لا) أو (نعم، نعم) فإنك تساعدن طفلك على تنظيم التجارب التي مرَّ بها. هذه الرسائل التي ترسلينها لطفلك تُعلمه أنَّ أفعاله المقصودة التي يقوم بها لها تأثير على العالم. وكأنه يكون بنفسه صورة من الموزاييك من مجموع التجارب التي مرَّ بها وفي كلِّ مرَّة تستجيبين فيها لمبادراته تضيفين قطعة صغيرة إلى صورته عن نفسه.

وهكذا فإنَّ مفهوم طفلك عن نفسه ككائنٍ مستقلٍّ ينشأ من خلال ارتكاساتك لمبادراته وإيماءاته. فعندما يبتسم بمكرٍ لك وتردِّين على ابتسامته بابتسامة قبولٍ سيكوّن عن نفسه صورةً مختلفة تماماً عن تلك الصورة التي سيكوّنها فيما لو أنك لم تعيريه اهتماماً أو أنك قطبتِ جبينك له.

ضعي في بالك دائماً أن الأطفال يستجيبون لنفس الرسائل بأشكال مختلفة. أنت لا تريدين أن تعرفي طفلكِ بمشاعر تشوشه أو تثبطه. تجنّبي الإيماءات المفاجئة وانتبهي إلى المعلومات التي تدلّ على أنه قد حُمِّل فوق طاقته بما في ذلك العلامات التالية:

- تعابير فارغة، لا مبالية على وجهه.
- أطراف مسترخية غير منظمة.
- عينان شاردتان.
- التحديق في شيء ثابت.

عندما يتعرّض الطفل لصدمة أو عندما يُحمِّل فوق طاقته فإن الخوف أو التوتر اللذين يعاني منهما يؤثران على قدرته الطبيعية على صنع الأنماط ويصبح «مفككاً» بكل معنى الكلمة وقد يتضاءل بشكل مؤقت شعوره بذاته الذي يكامل بين الأجزاء المختلفة من شخصيته. عندما يكون الطفل في هذه الحالة فإنه يحتاج إلى التهدئة وإلى التشجيع ليندمج مرّة أخرى مع وسطه وبهذه الطريقة يمكن أن يعود إلى التواصل المتبادل مع الآخرين.

أحياناً يحتاج الطفل إلى حدودٍ يقف عندها. إن الارتكاسات التي تضعين فيها حدوداً لبعض تصرفات طفلكِ ستساعده إذا طُبِّقت بلطف على تقوية شعوره بذاته تماماً كما تفعل ارتكاسات القبول.

عندما يضع طفلكِ إصبعه في كأس الحليب للمرة الثالثة سيكون من المناسب تماماً أن يريَ حاجبيكِ مقطَّبين. سيُشعر طفلكِ بتأثير انزعاجه للآخرين وسيتضمَّن تعريفه لنفسه معرفة أنه قد يكون مزعجاً في بعض الأحيان. بالطبع إن أفضل طريقة لبناء إحساسه بذاته هي أن يتمّ ذلك من خلال تجارب إيجابية. في كل مرة يريَ فيها ملامح البهجة على وجهكِ وهو يكتشف محتويات صندوقٍ أو يسمع نبرة السرور في صوتكِ وأنتِ تحيينه في الصباح يتعلَّم طفلكِ معاني الفضول والإصرار والمتعة. وهو يشكّل من مجموع هذه المشاعر إحساسه المتنامي بمن هو وماذا يكون. إن العواطف

الإيجابية والسلبية هي الصمغ الذي يربط كلَّ القِطْع المفصلة من تجارب الطفل لتشكّل صورةً واحدة.

التغلّب على الصعوبات التشجيع الخفي

بما أنَّ طفلك الآن أصبح أكثر قدرة على استخدام إيماءاته للتعبير عن نواياه فباستطاعتك الحصول على صورة أوضح عن شخصيته. هل يسعى دائماً لأن تحمليه؟ إذا كان يفعل ذلك فهو يبدي لك مدى حاجته للقرب منك، كذلك يدلُّ تفحصه للألعاب الموجودة في مهبه أو التعابير المرسومة على وجهك على صحّة فضوله. وفي كلِّ مرّة يشير فيها طفلك إلى شيء يريد أن يأكله أو يمسك به فإنه يعبر بذلك عن إصراره.

إذا كان رضيعك ميّالاً لأن يكون سلبياً أو خائفاً أو منسحباً أو قابلاً للتشتت فإن ذلك سيبدو في تلك الفترة. إن قدرته الجديدة على القيام بأفعال مقصودة سوف تعطيك فكرة عن الطريقة التي يتلقّى ويرتكس بها للعالم. عندما تدركين الطبيعة الخاصة لطفلك تستطيعين أن تلعب معه ألعاباً تعطيه الفرصة لتدريب نفسه على المهارات التي يعاني من صعوبات في استخدامها.

الرضع الحساسون للمس والصوت

عندما بلغت الشهر العاشر من العمر كانت كارا ما زالت تتلاءم مع نظم عائلتها المليء بالطاقة والضجة. فأخوها جوي الذي يبلغ الخامسة من العمر وأختها راتشل التي تبلغ السابعة يصنعان الكثير من الإثارة عندما يركضان في أنحاء المنزل. كانا يحبّان أن يصرخا بابتهاج عندما يصطدمان «بشكلٍ عَرَضِيٍّ» بكارا. غالباً ما كان ذلك يحدث عندما كانت كارا تلعب بالمكعبات مع أمّها وهما على الأرض. وبما أن كارا تحب اللعب الخشن والأصوات العالية فقد كانت أمّها تفقد صبرها عندما تجدها تطارد إخوتها الأكبر سناً.

لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن تدرك إيلين أن جوي وراتشل كانا يغاران من أختهما الصغيرة ومن قدراتها الجديدة. تلك الألعاب التي كانت إيلين وكارا يلعبانها كان الأخوان ينظران إليها على أنها «ألعاب للرضع» لكنهما كانا يريدان بوضوح المشاركة بها.

وبسبب حساسية كارا فقد ركزت إلين وزوجها ستيف على النشاطات التي كانا يقومان بها مع كارا على الأرض بحيث تتضمن لمسات قوية وألفاظاً مهدئة بصوتٍ منخفض الطبقة إضافة إلى الإيماءات المتبادلة. لقد عدل والدا كارا من أسلوبهما في رعايتها خلال الأشهر القليلة الماضية بحيث يتوافق مع حساسيتها لكن اللعب على الأرض أصبح فوضوياً بسبب تدخل أخويها الكبيرين.

أصبح واضحاً أن أفضل استراتيجية هي إشراك الأولاد الأكبر في اللعب وصرفهم عن القيام بدورهم المثير في إفساد متعة الآخرين. ذات يوم بعد أن غفت كارا دعت إيلين أخويها راتشل وجوي إلى غرفة العائلة ليجلسوا إلى جوارها على الأريكة. وعندما جلس الطفلان بين ذراعيها قبلت رأس كل واحدٍ منهما وقالت؛ «أيها الأولاد أريد مساعدتكما، تعرفان كيف هي كارا، وكيف يجب عليّ أن أساعدها للقيام بالكثير من الأمور، إنها لم تكبر بعد مثلكما وقد تعبت من اللعب معها لوحدي، هل يمكنكما أن تلعبا معنا لفترة قصيرة عندما تصحو من نومها، ربما بإمكانكما أن تعلمأها بعض الألعاب الممتعة كلعبة «الدب الثلاثة» ولعبة «خاتم حول الورد» ما رأيكما؟» لم يكن مفاجئاً أن كلا الطفلين استغلاً هذه الفرصة ليُريا أختهما الصغيرة كيف تلعب بعض الألعاب «الحقيقية».

حدّدت إيلين بشكل خفي القواعد التي تنظم طريقة اللعب بحيث تقلل من الأصوات ذات الطبقة العالية واللمسات الخشنة التي تزعج كارا. وأخبرت جوي وراتشل أن أحدهما يمكن أن يلعب دور الدب الأب والآخر

يلعب دور الدب الأم، في حين احتفظت بدور الدب الطفل لنفسها. كانت إيلين تعرف أن باستطاعتها أن تعدّل من طبقة صوتها بحيث تناسب آذان كارا. كما أنها تنتبه إلى مرافق ورُكَب ابنيها لتمنع الدفعات والضربات المفاجئة التي يمكن أن تؤدي إلى إسقاط كارا. كان هدف إيلين أن تجعل طفليها الكبيرين يتحملان وجود كارا وينظران إليها على أنها صديق حميم. عندما كان جوي وراثشيل يندمجان في اللعبة التمثيلية كانت كارا تتمتع بالزحف خلفهما وهي تطلق صيحات الابتهاج استجابةً لأصوات الدببة التي كان أخوها يطلقانها. كانت إيلين تقوم أحياناً بشكل خفي بإبعاد بعض عناصر اللعبة التي يمكن أن تزعج كارا في حين كانت تشجع الأطفال الثلاثة على التفاعل معاً خلال وقت اللعب على الأرض. إن الأطفال الحساسين مثل كارا قد ترهقهم الأصوات واللمسات المُحِبَّة التي يتعرضون لها. من المهم مساعدة هؤلاء الأطفال على استعادة إحساسهم بالسيطرة وعلى إثبات ذواتهم أيضاً، إن ألعاب الأخذ والعطاء هي طريقة جيّدة لتقوية إحساس هؤلاء الأطفال بقدرتهم على فعل الأمور وإشعارهم بالكفاءة. على سبيل المثال يمكن لألعاب الكرة أن تدرب الطفل على قراءة الرسائل البصرية كرؤية كرة كبيرة حمراء تتجه إليه، ورؤية تعابير التوقع على وجه أمّه أو أبيه، كما أنها تقوِّي قدرة الطفل على التنسيق بين حركات عضلات يديه وقدميه للوصول إلى الكرة.

بما أنّ استجابات كارا البصرية ومهاراتها الحركية كانت ممتازة فقد كان بإمكان ستيف وإيلين أن يعتمدا على اهتمامها بمتابعة كرة حمراء بראה بعينيهما للوصول إليها. طوّر ستيف طريقة معينة استطاع بواسطتها أن يقطع بعض الوقت الخاص خلال اليوم بحيث يلعب مع كارا ويركّز على ابتهاجها الواضح بكرتها الجديدة. عندما كان ستيف يعود من عمله كان يُعطي انتباهه في البداية لولديه الأكبر سنّاً ويقضي بعض الوقت في اللعب معهما على الأرض.

كان ينتظر حتى ينصرف جوي وراتشل إلى اهتماماتهما الخاصة ثم يلتفت إلى ابنته ذات الشهور العشرة ليلعب معها بشكل خاص. كان ستيف يجلس على الأرض مقابل كارا ويحمل الكرة الحمراء بين يديه. ومع غمرة بعينه كان يرفع الكرة أمام وجهه ويقول: «ما رأيك بلعبة الإمساك يا حبيبتى» كانت كارا ترفع ذراعيها نحو الأعلى لتصل إلى الكرة وتتمتع ببعض الأصوات ردّاً على أبيها. كان ستيف يردّ بابتسامة وغمزة ويدحرج الكرة باتجاه ركبتى كارا فتنحني لتلتقطها يستمر هذا الفعل جيئةً وذهاباً ويعبر كل من كارا وأبيها عن حبه للآخر وعن اهتمامه باللعبة عن طريق عددٍ من هزّات الرأس والابتسامات والإيماءات باليدين والأصوات.

عندما تلعبين لعبة كهذه مع طفلك من الأفضل أن تنوّعي طريقة اللعب. ففي هذه اللعبة مثلاً يمكن تغيير زاوية واتجاه الكرة المتدحرجة. إن الأطفال مثل كارا يحتاجون إلى التشجيع لكي يكتشفوا ويفحصوا أشياء أبعد من المجال الذي يمكنهم الوصول إليه براحة وذلك لكي يكتسبوا الثقة ويثبتوا أنفسهم. وبما أن بعض الأصوات واللمسات تكون مزعجة بالنسبة لهم فقد يصابون بالإرهاق بسرعة وهم يكتشفون العالم الصاخب من حولهم وقد يتحول ذلك إلى نوعٍ من السلبية.

وجد ستيف أنه عندما يشجع كارا بصوتٍ عميقٍ ولكن دافئٍ ولطيف فإنّ كارا كانت تندمج في اللعب معه كما أن معانقتها بقوة عندما كانت تلتقط الكرة بيديها ساعد على استمرارها في اللعب.

مرةً أخرى، اعتمد والدا كارا على الأسلوب الذي أفادهما جيداً خلال المراحل المبكرة من حياة طفليهما. بتعديل طريقتهما في التعامل معها بما يتوافق مع حاستها البصرية القوية وحاجتها إلى اللمسات القوية نجحاً في تأسيس علاقة حميمة معها. عندما كانت كارا تشعر بالهدوء والأمن والحب كانت جاهزة لتبادل الإيماءات. عندها كان ستيف وإيلين يوجهان تفاعلها

مع كارا بحيث يعطيانهما تمريناً حقيقياً يساعدها على التحكم ببعض العواطف كالخوف والسلبية حيث كانت تبدي بعض الضعف في هذا المجال.

الرضع الأقل تأثراً بالعالم المحيط بهم

عندما بلغ الشهر الثامن من العمر كان بريان ما يزال كما وصفه طبيب الأطفال «مرسلٌ ضعيف».

لم يبدأ بريان لوحده بإرسال أي رسالة. إنَّ ابتسامته الدافئة والكسولة لم تتحول أبداً إلى ضحكة أو صياح، ونادراً ما كان يرفع يديه ليحمله والداه عندما كانا يقتربان من مهده. أدرك ستوارت وتامي أنَّ طفلهما لم يكن يرفضهما عندما كان يتبعد عنهما أحياناً باتجاه عالمه الخاص. وأدركا أيضاً منذ فترة طويلة أنَّ عليهما أن يُرسلا طيفاً كاملاً من الإشارات المثيرة باتجاه طفلهما قبل أن يلتقط الهوائي الخاص به بعضاً منها.

إنَّ جهودهما السابقة لتحديد كمية ونوع الإشارات والروائح واللمسات والأصوات المثيرة قد آتت ثمارها، فقد تعلَّم بريان كيف يرُدُّ ابتسامتهما وأصبح يدي ارتياحاً واضحاً عندما يُحمل بين أيديهما ويحبُّ أن يهزَّ عندما يكون في مهده.

والآن حان الوقتُ لزيادة مستوى الطاقة عند بريان ومساعدته على أن يفهم أن سلوكه وإيماءاته يمكن أن تسبب حدوث أشياء جميلة. قرَّر ستوارت وتامي أن يلاحظا حتى الإيماءات الدقيقة التي يصنعها طفلهما وأن يستجيبا لأكبر عدد ممكن من هذه الإيماءات. على سبيل المثال: في كل مرة يدي فيها بريان شيئاً من السرور - بأن يرتجف معبراً عن إعجابه بطعم الآيس كريم أو أن يهزَّ جسده بسعادة عندما يسمع صوت القرد الذي يعمل بالبطارية وهو يضرب على الطبل - فإن أبويه ينظران في عينيه ويهزَّان رأسيهما تعبيراً عن سرورهما ويُعلِّمانه بأنهم قد سجَّلوا سروره. إنَّ الارتكاس المستمر حتى للإيماءات الدقيقة التي يصدرها بريان سيعلمه أنَّ لإيماءاته تأثير على أبويه

وعلى العالم بشكل عام. كان والدا بريان يتطلعان إلى تحويل التبادل البسيط لإيماءة واحدة أو إيمائتين إلى حوار حقيقي بدون ألفاظ. وبما أن بريان نادراً ما كان يبدأ بالإيماءات فقد بدأ والده يبحث عن طرق للوصول إلى مخيلته ودفعه إلى الحركة.

لاحظ والده أن بريان عندما يبدو غير مركّز فإنه يحرك يديه إلى الأمام والخلف. عندما أخبر والداه أخصائي التطور بذلك قال لهما بما أن المقوية العضلية عند بريان ضعيفة فإن تخطيطه وتحكمه بإيماءات يده يتأخر قليلاً.

استخدم ستوارت حركات اليد هذه لفتح دائرة التواصل مع ابنه فعندما يكون مع بريان على الأرض يقوم متعمداً بجعل يد بريان تصطدم بيده فيرفع حاجبيه ويحدّق قائلاً «أوه» فيثبت الطفل نظره على يده التي اصطدمت بيد والده. إن هذه المقدمة اللطيفة تقطع انغلاق بريان على نفسه وتجعله جاهزاً لتبادل مزيد من الإيماءات مع والده. ثم يقوم ستوارت بالابتسام في وجه ابنه ويمدّ لسانه باتجاهه وعندما يلاحظ اتساع عيني ولده يحرك لسانه إلى اليمين واليسار مُصدراً أصوات طقطقة مثيرة. كان بريان يحاول أن يحرك فمه استجابةً لإيماءات والده، ثم يقوم ستوارت بعد ذلك بضمّه ويحدّق فيه قائلاً «ما رأيك بلعبة اختلاس النظر» وبما أن عيني بريان ظلّتا بعيدتين عن أبيه فقد غطاهما ستوارت بيديه ثم صاح «بيكابوو.. لقد رأيتك» وأزاح يديه عن عيني بريان، مع هذه الحركات رفع بريان ذقنه وابتسم في وجه أبيه. حتى الأطفال الذين لديهم ضعف في إرسال الرسائل مثل بريان يمكن أن يشعروا بالسرور عندما يشاركون بفتح وإغلاق دوائر التواصل مع الآخرين.

لقد أدرك كل من ستوارت وتامي أن بريان يعاني من مقوية عضلية ضعيفة وأن ذلك يؤثر على قدرته على التعبير عن مقاصده. لقد أدركا أن طفلهما يحتاج إلى جهازه الحركي للتفاعل مع العالم المحيط به مع أن عضلاته المسترخية نوعاً ما لا تمكّنه دائماً من التحرك بإصرار أو إظهار ما

الذي يريده. إن إدراك ستوارت أن طفله يستطيع أن يتحكم بشكل جيد بعضلات لسانه ورقبته جعله يختار الإيماءات التي يسهل على بريان تقليدها أو الاستجابة لها خلال لعبهما على الأرض معاً.

وجدت تامي طريقة أخرى تُدرَّب من خلالها بريان على الإصرار في أفعال. فقد بحثت عن أساليب تزيد فيها من ارتباطه بلعبة البطة وهي لعبة صفراء مفضلة عند الأطفال.

ذات يوم كانت تجلس مع بريان على الأرض بجانب رفٍّ منخفض وضعت عليه بطة، لمست ذراع بريان البطة وهنا وجدت تامي فرصة لتطبيق خطتها، وبسرعة رمت البطة على بعد ست خطوات من المكان الذي كانا يجلسان فيه ثم التفت إلى بريان وشفقت بيديها وقالت له؛ «أوه - أنظر يا عزيزي، لقد جعلت البطة تطيرُ دعنا نلحق بها ونمسكها». بعد أن شجعتة بنبرتها اللطيفة انتظرت تامي لترى إن كان بريان سيأدرُ ويزحف نحو اللعبة. انتظرت الطفل ليقوم بالخطوة الأولى وانتصبت على يديها وركبتيها وكأنها تستعد للسير خلفه. بعد ثلاثين ثانية كان بريان يتوجه نحو البطة.

هذه بعض الأمثلة عن كيفية استغلال أوقات اللعب على الأرض في ألعاب معتمدة على اهتمامات الطفل تساعد على أن يصبح أكثر إصراراً. إن المفتاح هنا هو خلق فرصٍ لسيلٍ مستمرٍّ من الإيماءات كالأصوات المفتعلة وتعبير الوجه والحركات. عندما يكتسب الولد قليلُ التأثير بما حوله الثقة بقدرته على فعل الأمور وعندما يتذوَّقُ الإثارة الكامنة في التعبير عن رغباته سيصبح من السهل إشعاره بالمتعة الناجمة عن اكتشاف العالم والتفاعل معه.

الرضع التواقون إلى الإحساسات

لم تكن إيما التي تبلغ الشهر العاشر من العمر بحاجة إلى من يشجعها على التعبير عن رغباتها لوالديها مايك ولورا. وفي الحقيقة كان باستطاعتها إظهار الكثير من إيماءات التمرد كزَم الشفتين وإطلاق الأصوات عالياً. كانت

كثيراً ما تستخدم هذه الإيماءات عندما يقوم والداها بتقييد حركتها وهي ما تزال منهمكةً باكتشاف الأضواء وأرجل الكراسي وحتى الدروج في الشقة التي تعيش فيها العائلة .

غالباً ما كان والدا إيما يضطران للحدّ من اكتشافاتها خوفاً عليها وكانا يجدان صعوبةً في فهم غضبها الشديد . لقد تعلّما تحمّل صراخها واحتجاجها عندما كانت أصغر سناً واستطاعا بكثيرٍ من الصبر أن يحافظا على علاقة حبّ دافئةٍ معها . أمّا الآن وقد ازدادت قدرتها على الحركة وأصبحت تشكل خطراً حقيقياً عليها فقد ازدادت صعوبة تهدئتها كلما مُنعت من متابعة اكتشافاتها وكان ذلك يرهق والديها اللذين كانا في منتصف العمر . وعلى الرغم من سرورهما بنشاطها الزائد إلاّ أنهما بدأا يفقدان الثقةً بقدرتهما على تحمل الضجيج الذي تسببه إيما كلما اضطرا إلى وضع حدودٍ لحركتها . وفي كلّ مرّة كانا يواجهان فيها إيما بوجه صارم أو إصبعٍ محدّرة أو كلمة «لا» كانت تزداد رفضاً وتمرداً .

عندما استشار والدا إيما أخصائي التطور أصبحا أكثر تفهماً لسبب السلبية عند إيما . فقد شرح لهما الأخصائي أنّ التمرد هو ظاهرة شائعة في هذه المرحلة من تطور الطفل الذي يكون زائد النشاط وكثير المطالب . إذا كانت الحركة تشعرها بالسرور والاكتشاف يشبع فضولها فلماذا توقّف إيما نشاطاتها بدون احتجاج؟ وقد طمأن الأخصائي والدي إيما أن مهارتهما التربوية قد مكّنت إيما من تجاوز منعطفين هاميين في تطورها وهما القدرة على الهدوء والقدرة على تبادل الحب مع الآخرين ، إن نشاطها الزائد وإصرارها هو دليلٌ على أنها في طريقها إلى اكتساب المهارة الثالثة من مهارات التطور وهي القدرة على التواصل مع الآخرين .

في الحقيقة إن غضب إيما واحتجاجها هو دليلٌ واضحٌ على قدرتها على التعبير عن الإحباط الذي تشعر به . ومع ذلك ظل والداها يعانيان من

مشكلة في التعامل معها وهي كيف يمكنهما أن يضعوا قيوداً على حركة إيما بطريقة لا تسبب لها كل هذا الغضب.

لقد نصحهما الأخصائي بتجريب طريقتين مختلفتين في التفاعل مع ابنتهما. تتضمن الأولى مضاعفة كمية الإحساس بالراحة والتهدة التي يوفرانها لإيما وخصوصاً عندما تكون على وشك الانفجار في ثورة الغضب. وحثهما الأخصائي على عدم الانسحاب بعيداً عن ابنتهما. حتى ولو كانت في أقصى حالات الرفض، فعندما يهزّ مايك ولورا رأسيهما تعبيراً عن كلمة «لا» ويقومان بإبعادها عن مصدر الخطر يجب أن يضاعفا مقدار التهدة الموجهة إليها. فالعناق الحار والصوت المهدئ وغيرهما من النشاطات الجسمية هي الإجراءات الأمثل التي يجب اتخاذها عندما تكون إيما على وشك أن تفقد السيطرة على نفسها.

عندما نقول «لا» للطفل في مجال معين من المهم أن نوّفر بديلاً يجلب له نفس القدر من السرور، ولكن في ظروف أكثر أماناً. فبعد إبعاد إيما عن مصادر الخطر كالسلالم والرفوف نُصح والداها بأن يوفرّا لها نشاطات أكثر إثارة كالزحف في أنبوب كبير أو إلى بيت خاص للعب. كما أن باستطاعتها شدّ إيما إليهما بأن يمدّا ذراعيهما ويؤرجحانها في الهواء. هذه الطريقة الجديدة تتضمن أربع مراحل أولاً: أوقف النشاط الذي يشكل خطراً على طفلك، ثانياً حولي انتباه طفلك إلى نشاط بديل تكونين فيه بجواره، ثالثاً طمّني طفلك بتواصلك معه بكلمات دافئة وضمان مهدة وأخيراً أطلقه ليكتشف متعة النشاط الجديد.

طريقة التفاعل الثانية تتضمن توفير مجموعة أغنى من الإيماءات لإيما. فبدلاً من الانتظار حتى اقتراب الخطر ثم الصياح بكلمة «لا، لا» طُلب من مايك ولورا أن يُبديا بعض الإيماءات الاحترازية المبكرة التي تعطي إيما انطباعاً بأن «لا» قد تكون قريبة منها.

قرر مايك أن يستخدم يده كشرطي المرور، فبعد أن يلفت نظر طفله وهي تتجه إلى خطرٍ ما يحاول أن يضع يده أمام وجهه على أن تكون راحتها متجهة إلى الخارج في حين يهزُّ رأسه يمنةً ويسرة، ولكن إيما كانت غالباً ما تتابع طريقها إلا أن إيماءات مايك المحذرة كانت تجعلها تتوقع أن حركتها سيتم تقييدها، ولأنها لم تُعدّ تتفاجأ بكلمة (لا) التي كانت تتبع ذلك فقد بدأت إيما تتحمل أن يقوم والداها بدور السيد في بعض الأحيان. وبما أنه كان يتم تشجيعها على الحركة والنشاط بعد أن يتم منعها من أمرٍ ما فقد تعلّمت إيما أن باستطاعتها أن تكون سيدة اكتشافاتها الخاصة في معظم الأوقات وليس في كل الأوقات.

بما أن إيما كانت نشيطة جسدياً فقد اقترح الأخصائي على العائلة أن تلعب معها على الأرض لعبة لا يستطيع معظم الأطفال في عمر إيما أن يلعبوها. تُدرّب هذه اللعبة على مفهوم التعديل وتساعد الأطفال التواقين إلى الإحساسات مثل إيما على تعلم الكيفية التي يصبحون فيها أكثر تحملاً للقيود ويجدون الحياة ممتعة حتى لو لم تُمارس بالحد الأقصى من النشاط. تتضمن اللعبة ببساطة أن يرتكز والدا إيما على يديهما وركبتيهما ويستعدّان للزحف. في البداية يزحفان بسرعة كبيرة ثم يبطّئان الزحف ويعيدان الكرة. إن الفكرة من هذه اللعبة هي أن النشاط والحركة يمكن تعديلهما (من السريع إلى البطيء) وبالتالي يمكن التحكم بهما.

اقترح الأخصائي تغييراً آخر له علاقة بطريقة قراءة لورا ومايك لإيماءات إيما. لقد أوضح لهما أن ثورات الغضب عند الأطفال غالباً ما تسبقها إشارات تحذير يغفل عنها معظم الآباء والأمهات، وطلب من لورا أن تراقب إيما بدقة في كل مرة تشعر فيها أن ابنتها أوشكت على فقد السيطرة على أعصابها.

سرعان ما لاحظت لورا علامات متكررة تدل على قرب اندلاع العاصفة، فأحياناً كانت تبدو ملامح شيطانية على وجه إيما أو يظهر بريق في

عينها وهي تتجه نحو شيء ممنوع. ولاحظت لورا أيضاً أن إيما كانت تصيح أو تضم قبضتيها الصغيرتين قبل أن تفتح أبواب الطوفان وتبدأ الدموع بالانهمار. أوضح الأخصائي أن على الأبوين أن ينتبها إلى هذه العلامات التحذيرية المبكرة وأن يستجيبا لها وأنهما إذا انتظرا حتى تنفجر إيما بالبكاء فإن ذلك قد يستغرق وقتاً طويلاً قبل أن تستعيد هدوءها ويتمكنا من إعادة التواصل معها مرة ثانية.

الرضع الذين يتمتعون بالمناظر لكنهم ينزعجون من الأصوات

خلال الأشهر القليلة الماضية بدأ ول يستخدم الإيماءات بالكثير من الطرق الجديدة فقد كان يرفع يديه بإثارة في كل مرة يرى فيها والدته ليزا في الصباح وكان يحاول أن يصفق كلما رقص والده دان من أجله. لقد حاول دان منذ فترة أن يهدئ من طريقة حوارهِ الصاخبة لتناسب حاجة ابنه إلى الأصوات المنخفضة ولأن ول كان يجد صعوبة في الانتباه إلى الأصوات وخصوصاً المعقدة منها فقد كان دان يحاول عامداً أن يتحدث إليه بنبرة هادئة ولطيفة.

شعر كل من ليزا ودان بالراحة لتطور ولدهما ول. فقد كان طفلاً هادئاً وسعيداً يستجيب بمرح زائد للأضواء الساطعة. بما أن والداه كانا يعدلان القبو ليصبح مكاناً للعب فقد أخذهما معهما للتسوق في محل لبيع أجهزة الإنارة، لقد كان ارتكاسه للأضواء المنبعثة من مئات اللمبات والثريات قوياً لدرجة فاجأت والديه فقد أثير إثارة شديدة وبدأ يصيح مبتهجاً ويقفز صعوداً وهبوطاً بين ذراعي والده.

لقد أدرك ولدا ول من خلال تجربتهما الأولى معه أن أفضل طريقة لتقوية قدرته على التعامل مع الأصوات هي شد انتباهه أولاً بإشغال مهاراته البصرية القوية. ما أن ينتبه الطفل إلى شيء رآه حتى يمكن غالباً توسيع اهتمامه ليشمل اللمسات والأصوات البسيطة. لقد أوجد دان ولورا طريقة

لمساعدة ابنهما ذي الشهور العشرة على التركيز والاستجابة لمجموعة من الأصوات وجعلا من صوتيهما دليلاً له.

على سبيل المثال: عندما يجلس كلٌّ من دان وول على الأرض ويتبادلان نظرات الارتياح والابتسامات الدافئة كان دان يأخذ لعبة جديدة مخفية خلف ظهره ويمسكُ بها عالياً بحيث يراها ول. ويا لها من لعبة مثيرة للانتباه بالنسبة لطفل يحب الأضواء الساطعة والألوان، لقد وجدت لورا لعبة سيارة إطفاء مطلية بلونٍ أحمرٍ براقٍ مع ضوء أصفر ساطع على سقفها. عندما عُرضت اللعبة على ول كانت إثارتة واضحة. وضع دان اللعبة تحت يديه وقال «ها أنا ذا» ليدلّ ول عليها. أحياناً كان دان يبتعد عن ابنه ويخبئُ سيارة الأطفال خلف الكرسي ويصدر مجموعة من الأصوات ليدلّ ول على مكانه. بتفعيل حاسة ول البصرية التي يتمتع باستخدامها استطاع دان أن يثير انتباهه إلى أصوات بسيطة منتظمة لأن هذه الأصوات كانت تساعد على الوصول إلى الأشياء التي تمتعُ ناظره.

إن الرغبات أو المشاعر هي التي تقود الانتباه، لذلك تُعتبر الألعاب المشابهة للعبة المذكورة أعلاه تمارين رائعة للأطفال مثل ول خلال اللعب على الأرض. إن الأطفال الذين يعانون من صعوبة في استقبال الأصوات يمكنهم أن يكتسبوا التمرين المطلوب لهضم الأصوات خلال تمتّعهم بتذوق المناظر.

الرضع الذين يتجاوبون مع الأصوات ويجدون صعوبة في التعامل مع المناظر

استمرَّ ماكس ذو الشهور التسعة في إحباط والديه جوناثان ولين وإبهاجهما في نفس الوقت. كان يبدي اهتماماً كبيراً ببعض الإحساسات فمثلاً الطعم الحلو كان يدفعه إلى التلمّظ، والموسيقى (كلما كانت أعلى كان الأمر أفضل) كانت تحمله على إيقاف ما يقوم به والهزّ معها. وقد بدأ يرفع

نفسه إلى الأعلى بالاستناد على حواف الطاولات والكراسي . لكنّ فضوله لم يتسع ليشمل الأشياء المرئية فقد ظلّ مايك يتحاشى الاتصال العيني المباشر مع والديه وبدا متردداً بل حتى مقاوماً لأي استجابة للتعايير التي تظهر على وجهيهما .

وعلى الرغم من أنّ لين وجوناثان اطمأنّا قبل عدة أشهر بعد أن أخبرهما طبيب العيون أن نظره طبيعي، إلّا أنه كان من الواضح أن ماكس يحتاج إلى المساعدة لكي يفهم الأشياء التي يراها . لقد أدرك والدا ماكس ضرورة تشجيعه بلطفٍ لينتبه بصرياً إلى الأحداث التي تجري حوله .

بما أن ماكس يحب كل أنواع الحركة وخصوصاً الدوار الممتع المرافق للتأرجح إلى الأمام والخلف فقد قرّرت لين أن تغريه باستخدام عينيه عن طريق هزّه أولاً في أرجوحته . وضعت الطفل في الأرجوحة ودفعته وهي واقفةً تجاهه وكانت تمسك بالأرجوحة في كل مرّة تعود الأرجوحة إليها وتنظر مباشرة في عيني ماكس وتقول له بلهجةٍ دافئة «أنا أراك، سيد ماكس» وما أن ترى عيني ولدها ينظران باتجاهها حتى تفلت الأرجوحة لتعود إلى الوراء وهكذا في كل مرّة يحقق فيها ماكس تواصلاً بصرياً مع أمّه كان يحصل على دفعةٍ أخرى .

كان التأرجح ممتعاً بالنسبة لماكس والآن أصبح النظر إلى عيني أمّه جزءاً من المتعة أيضاً . على الرغم من أنه كان في الشهر التاسع من العمر فقد بدأ ماكس لتوّه يتعلّم كيف يتمتّع بالنظر ومعالجة ما يراه بعينه .

الصعوبات الشائعة التي تصادف الوالدين في التواصل مع أطفالهما

كل واحد منا يجد صعوبة في التواصل مع الآخرين في بعض المجالات، لذلك عندما نعلم أطفالنا التواصل ليس غريباً أننا نحاول فطرياً تجنب التواصل معهم في المجالات التي نشعرنا بعدم الارتياح. من المهم في هذه المرحلة أن تكوني مرتاحة لإصدار طفلك ولا مانع من أن تعاني من بعض مشاعر الفقد إذا كنت تحبين أن تحملي طفلك بين ذراعيك وتفقدينه عندما يزحف بعيداً عنك ليفحص لعبة قريبة منه.

نقاط الضعف عند الوالدين

إذا كان غضب طفلك أو إلحاحه أو فضوله يسبب لك الإزعاج لا يمكنك أن تتجاهلي هذه المشاعر. حاولي أن تنبشي هذه المشاعر الدفينة ولا تتركها متأججة في ذلك، إن أفضل طريقة لحل هذه المشكلة هي أن تواجهي بصدق نقاط ضعفك كأم. إذا كان من الصعب عليك أن تحللي بشكل موضوعي سلوكك الخاص (وكذلك الأمر بالنسبة للكثيرين منا)، خذي نفساً عميقاً واسألي زوجك كيف تتصرفين في الحالات التالية:

- عندما يرفضك أحد ما أو يبتعد عنك.
- عندما يتصرف أحد معك بغضب وعدوانية.
- عندما يُبدي أحدهم فضولاً بما في ذلك فضوله لاكتشاف جسده.
- عندما يحوم أحد ما حولك ولا يترك لك مجالاً للتنفس.

قد تريدين محاولة اكتشاف مشاعرك الخاصة وما الذي يُشعرك بالانزعاج أو العصية في مواقف معينة. إن إدراكك للنقاط العاطفية الحساسة في شخصيتك سيعطيك صورة واقعية عن نفسك وحتى لو لم تغيري من مشاعرك فإنك ستصبحين أكثر قدرة على فهم تصرفات طفلك وعدم فهمها على أنها موجهة إليك شخصياً.

لنلقِ نظرة على نقطة ضعفٍ شائعة عند الوالدين. إن بعض الأمهات والآباء يتشوّقون لاقتطاع جزءٍ من أوقاتهم بشكلٍ منتظم للجلوس على الأرض، واللعب مع أطفالهم لكنهم يجدون أن مبادراتهم تقابل بالرفض أحياناً. إذا كنت حساسة دائماً للرفض فإنك ستشعرين بالانزعاج عندما ينسحب ولدك من اللعب معك بسرعة. إذا أدركت أن لديك نقطة ضعفٍ بطيئة الاندمال في هذه الناحية العاطفية من حياتك ستقولين لنفسك «أوه، ها هي حساسيتي للرفض تؤثر عليّ ثانية» وربما لن تعتبري ابتعاد طفلك المؤقت عنك نوعاً من رفضه لحبك له، وستمكنين من استرضائه ثانية وإعادته إلى التفاعل معك.

من الصعب ألاّ تعتبري هذا الرفض أمراً شخصياً وبعض الآباء والأمهات ينسحبون من أوقات اللعب على الأرض ليتجنبوا ذلك الشعور المؤلم بعدم القدرة على اجتذاب أولادهم. بالتأكيد هم لا يهتمون أولادهم جسدياً ولا يتوقفون عن حبهم لكنهم قد يتوقفون عن طلب ذلك البريق في عيون أطفالهم الذي يدلّ على تفاعلهم معهم.

من الطبيعي أن تشعرى ببعض الغضب أو الإحباط من طفلك لأنّ عليك أن تبذلي جهداً أكبر مما تبذله بقية الأمهات لتستمرى في التحوار معه بلغة الإيماءات. على كل حال من الممكن أن تغيّري الوضع بالتركيز على الطرق التي تشدّ انتباه طفلك إليك. باستطاعتك أن تلاحظي حتى أدق الاستجابات الإيمائية التي يبديها طفلك - وذلك بالنزول إلى مستوى عينيه ورسم تعابير مختلفة على وجهك وأن تستجيبى مباشرة لأيّ إيماءة تظهر عليه. إذا تحرّكت زاوية فمه إلى الأعلى في محاولة منه للابتسام أو إذا لوحّ بقبضتيه الصغيرتين في الهواء قلّدي حركاته مباشرة. إن الأمر المهم هنا هو أن تستمرّي بالتفاعل معه ورفع حرارة هذا التفاعل وبالاستجابة عن طريق الإيماءات لأيّ رسالة يرسلها إليك.

قد ينسحب بعض الآباء والأمهات عاطفياً عندما يتصرف أطفالهم بعدوانية. كما أنهم قد يسيئون فهم الإصرار الطبيعي على أنه عدوانية وبالتالي يتصرفون بطريقة تشوش الطفل. افترض أن طفلك ذو الشهور التسعة يجلس في حضنك ويتفحص وجهك بأصابعه قد يتفحص فتحتي أنفك ثم يقرر أن يكتشف ما بداخلهما. فجأة تصبح رغبته الفطرية في الاكتشاف أمراً مزعجاً فتبعد يده جانباً. طالما أنك تعودين بسرعة إلى التقارب الجسدي مع طفلك وتبلغينه بلغة الجسد أنك لا تريدين تعطيل فضوله فإن حواركما سيستمر. باستطاعتك أن تخبريه بصوت لطيف أن يبعد يده عن أنفك لأن ذلك يؤلمك.

من المهم أن يتعلم الطفل أن اكتشاف محيطه هو أمر جيد، وأن هذا الاكتشاف لن يؤدي إلى فقدان التواصل معك كما أن مشاركته في الاكتشاف ستكون متعة كبيرة بالنسبة له.

أحد الأنماط التي يقع فيه معظم الآباء والأمهات ينشأ من شعورهم بأن عليهم أن يحدّدوا اتجاه الحوار بالإيماءات مع أطفالهم. هؤلاء الآباء هم فاعلون وليسوا مُنصّتين ويصعب عليهم أن يصبروا وينتظروا أطفالهم حتى يبدأوا بالإيماءات. على الرغم من أن حبنا لأطفالنا يدفعنا لأن نتوقع كلّ احتياجاتهم إلّا أننا أحياناً نتجاهل حاجتهم إلى التدرّب على إرسال واستقبال الرسائل. وبدلاً من أن نقوم بالإيماءات كلها بأنفسنا يجب أن نشجع أطفالنا على المبادرة بإيماءات من عندهم. من جهة أخرى يتخذ بعض الآباء موقفاً سلبياً من الحياة فيفضّلون الاستجابة لمبادرات الآخرين بدلاً من دفعهم إلى الفعل. إذا كان هذا هو موقفك فمن الأفضل أن تضاعفي جهودك لتغري طفلك بالتفاعل معك بإصرار.

التواصل مع الآخرين

لاحظي الأشياء التي يهتمُّ بها طفلكُ عادةً (أنفك المضحك، أو اللعبة التي تضعينها في فمك على سبيل المثال) ثم شجعيه على التعبير عن نفسه ومشاعره بأن يقوم بأفعالٍ معينة بشكل هادف. بهذه الطريقة ستساعدينه على التواصل المتبادل مع الآخرين.



المرح والألعاب

لعبة الصوت والوجه والشعور المَرِح. لاحظي الأصوات وتعبير الوجه التي يستخدمها طفلكُ بشكل طبيعي للتعبير عن المرح أو التجاهل أو الدهشة أو أي شعور آخر وقلّدي هذه الأصوات والتعبير بطريقة مرحة ولاحظي إن كان سيستمرُّ في تبادل الأصوات والتعبير معك.

لعبة دائرة التواصل

لاحظي كم مرة تستطيعين أن تجعلي طفلكُ يلمسُ كرةً حمراء أو يضربُ أنفك مقابلَ صيحاتك. أو لاحظي كم مرة سيحاول فتح يدك إذا كنتِ تخفين فيها شيئاً ثميناً. في كل مرة يتبع فيها طفلك اهتماماته ويأخذ الطعم فهو يغلق دائرةً من دوائر التواصل.